أنوار النجاة في

سورة الكهف





خالـد أبو شـادي



اسم الكتـــــاب	أنوار النجاة في "سورة الكهف"
اســـــم المؤلف	خالد أبو شادي
عدد الصفحات	١١٢ صفحة
عــــــدد الألوان	٤ لون
الإيــداع القانوني	٩٩٩٩٩٩/ ٢٠١٩
البريـد الإلكتروني	shadybooks@gmail.com

توزيع



00965 99411508

00966 593680501

newbooks.shady@gmail.com






سورة
الكهف
الدعاء
هجر
البيئة
الفاسدة
فتنة
الدين
أصحاب الكهف
الصحبة
الصالحة
فتنة
المال
صاحب الجنتين
حقيقة
الدنيا
ذكر الاخرة
فتنة
العلم
موسى و العبد الصالح
التواضع
الصبر
فتنة
الملك
ذو القرنين
العدل
المشاركة
التواضع



نور بين الجمعتين

قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[1].

هذا الحديث يبشِّرك أنك تحوز بقراءتك لهذه السورة طاقة نورانية عظيمة، تُشِعُّ من آياتها المباركة، فتضيء قلبك، ويزداد النور قوة وتأثيرا كلما زاد تدبرك لها لاستجلاء كنوزها ومعانيها.

ولأن الإنسان كثير النسيان، وتتنازعه الغفلات والشهوات والعادات، لذا تسحبه الدنيا بعيدا عن أنوار الوحي، وقد مثَّل النبي ﷺ لهذا المعنى مثلا، بأن لهذا النور فترة زمنية محددة يبقى خلالها متقدا، ثم بمرور الوقت يبدأ بالخفوت والتلاشي شيئا فشيئا حتى يقارب على الاضمحلال، فتنسى دروس السورة، ويقل تأثيرها على قلبك، فتحتاج لإعادة التزود من جديد، فنقرأ سورة الكهف في الجمعة التي تليها، وهكذا تظل معانيها حاضرة لا تغيب، قوية لا تُنسَى.

أنوار سورة الكهف تعني أنك ستواجه في رحلة حياتك كثيرا من

(١) صحيح الجامع رقم: ٦٤٧٠

الظلمات، وهي ظلمات لا تنقشع إلا بالتعرض لنور الوحي، خاصة ما كان في هذه السورة.

والنور له وظيفة؛ وظيفته أن ترى به الأشياء على حقيقتها، وبغير النور نتخبط في الظلماء، فيتعثَّر سيرك، أو ربما سرت عكس الطريق، فضللتَ وأضللتَ، وهلكتَ وأهلكتَ.

ونلحظ أن هذا النور المبارك كان ملازما لأبطال القصص الأربعة التي روتها سورة الكهف:

1. كان ملازما لأصحاب الكهف، فرأوا الدنيا على حقيقتها، وآثروا الكهف الموحش مع الإيمان على القصر الفاخر مع الكفر.
2. وكان ملازما للمؤمن الفقير، فزهد في جنة الكافر الغني، ونجح في اختبار الفقر بينما سقط الغني في اختبار غناه.
3. وكان ملازما للعبد الصالح، فعرف به حكمة الأقدار، فخرق السفينة وقتل الغلام وبنى جدار اليتيمين وسط أمة جاحدة، وهي أفعال تحيِّر العقول، ويتكرر مثلها عبر العصور، وبدون نور العلم بالحكمة الربانية، يتيه المرء وتضطرب رؤاه فيفقد هداه.
4. وكان ملازما لملك من أعظم ملوك الأرض: ذي القرنين، فأنار حكمه بالعدل، وشيَّد حضارة شامخة، مستعينا في هذا بالله أولا، ثم معاونة قومه.

والعجيب أن القصص الأربعة التي عرضتها السورة (أصحاب الكهف وصاحب الجنتين وموسى مع العبد الصالح وذو القرنين) لم يأت ذكرها في سورة أخرى غير سورة الكهف، ولذا فإن للسورة تأثير مميز، ورسائلها تعالج ما لا يعالجه غيرها، ولعل هذا من حكمة أننا نقرأها كل يوم

جمعـة، لأن فيهـا مـا ليـس في غيرهـا.

إن كل مؤمــن في حاجــة ماســة لوقفــة أســبوعية تذكِّـره بقيمــة كـنز الإيمــان الــذي يحملــه في صــدرة، وأهميــة المحافظــة عليــه، كمــا ســبق وأن حافـظ عليـه فتيـان الكهـف في ثبـات ويقـين.



الفضل الثاني

الوقاية من الفتن

كما تجعـل الـدول مـلاجئ لمواطنيهـا في الحـروب، فكذلـك سـورة الكهـف هـي ملجـأ المؤمنـين عنـد الفـتن، وترشــــدك السـورة كيـف تواجـه هجمات الفـتن، فتعـرض لفـتن أربعـة: الديـن والمـال والعلـم والسـلطة، ومعلـوم ألا قـوام لحضــــارة إلا بهـذه الأربعـة، وهــــي نِعَـم لكـن تتحـول بسـهولة إلى نقــــم، ويـأتي الديـن علـى رأس مقومـات هـذه الحضـارة ليجعـل لهـا رسـالة سـامية، ويعبِّدهـا لربهـا لا لأهوائهـا وشـهواتها.



تـشـير الـسـورة كذلـك إلى حاجـة الإيمـان إلى قـوة تقيمـه وتحميـه، وهـي كمـا في السـورة: قـوة ذات فـروع ثلاثـة: العلـم والمـال والسـلطان، أي العلـم الرشـيد، والمـال المعـين، والسـلطة الحاميـة الرشـيدة، فـلا قيـام للديـن في دنيـا النـاس بغـير هـذا.

وهـذه القـوى الثلاثـة موضـع فتنـة وامتحـان نواجهـه مـا دمنـا أحيـاء، فـلا يـزال المؤمنـون في الدنيـا متعرِّضـين للابتـلاءات، مضطهديـن مـن أشـرس الأعـداء، ومـع هـذا لا يتسـلل إلينـا ضعـف ولا يـأس ولا استسـلام؛ مـا دمنـا نتصـل بالقـوة العظمـى مـن خـلال أنـوار الـوحي.





الوقاية من فتنة الدجال

تشكِّل سورة الكهف أعظم وقاية من أعظم فتنة على وجه الأرض على الإطلاق: فتنة الدجال، والعلاقة بين الفتن الأربعة وفتنة الدجال وثيقة، فمن تسلَّح بالإيمان الذي يؤهله للنجاة من الفتن الأربعة الصغرى، سيكون مستعدا غدا لمواجهة الفتنة الكبرى: فتنة الدجال.

قال رسول الله ﷺ:

«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[١].

وحتى إذا ظهر الدجال، فمن أهم الأسلحة التي سنحاربه بها: فواتح الكهف، ففي الحديث: **«وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف»**[٢].

وأوصانا النبي ﷺ أن نقرأ فواتح الكهف أمام الدجال ونجهر بها بين يديه، فقال ﷺ:

«فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[٣].

لكن ماذا لم لم ندرك الدجال!

بماذا تفيدنا سورة الكهف حينها؟!

والجواب على هذا السؤال بسؤال:

---

(١) صحيح الجامع رقم: ٦٢٠١
(٢) صحيح الجامع رقم: ٧٨٧٥
(٣) صحيح الجامع رقم: ٤١٦٦

يا تُرى.. أيهما أشد خطرا؟!

الدجال أم أئمة الضلال؟!

الدجال أم علماء السوء؟!

الدجال أم النجوم المشهورون الذين يُضِلون الناس وإلى النار يدعون؟!

اسمع جواب هذه الأسئلة من أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: كنت مخاصِر النبي ﷺ يوما إلى منزله، فسمعته يقول:

«غير الدجال أخْوَف على أمتي من الدجال».

فلما خشيت أن يدخل، قلت:

يا رسول الله، أي شيء أخوف على أمتك من الدجال؟

قال: «الأئمة المضلين»(١).

الأئمة المضلون أخطر من الدجال.

لأن الدجال مكتوب على جبينه كافر، والأئمة المضلون ليسوا كذلك.

ولأن الدجال يفتن العامة، والأئمة المضلون يفتنون الخواص والعوام.

فعلى قارئ سورة الكهف اليوم أن يوسع مفهومه لفتنة الدجال؛ لتشمل من قام بما يشبه وظيفة الدجال، وسعى في فتنة الناس عن دينهم، ومن هؤلاء من ادَّعى النبوة، وهؤلاء تنبأ بهم رسول الله ﷺ، وحذَّر منهم أشد التحذير، فقال:

«إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالا كذابا»(٢).

العلم صمام أمان!

(١) مسند أحمد رقم: ٢١٢٩٧

(٢) صحيح الجامع رقم: ٢٠٤٨

كان الحسن البصريُّ يقول:

«إنَّ الفتنة إذا أقبلت، عرفها العالم، وإذا أدبرت، عرفها كلُّ جاهلٍ».

وهذا ما تحاول سورة الكهف أن تعلِّمك إياه، فتعرِّفك بالفتن، وتكرِّر عليك التذكير كل جمعة من خلال قراءتك لها، لتصير خبيرا بالفتن وأحوالها وأحوال أهلها، فتعرفها عند إقبالها، وليس بعد فوات الأوان مع إدبارها، فبعد رحيلها سيعلم كل من دخل فيها أنه كان على خطأ، فيصدق عندها فيك وفي كل مؤمن قول الشاعر، يمدح صاحب البصيرة النافذة:

بصيرٌ بأعقاب الأمور برأيه كأنَّ له في اليوم عينًا على غدِ



الفصل الرابع

تنزل السكينة

وقراءة سورة الكهف تستدعي الملائكة وتستجلب السكينة، فمن أراد السكينة لقلبه المضطرب، فليقرأ سورة الكهف.

عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«كان رجلٌ يقرأُ سورة الكهف، وإلى جانبه حصانٌ مربوطٌ بشَطَنَين، فَتَغَشَّته سحابةٌ، فجعلتْ تدنو وتدنو، وجعل فرسُهُ يَنْفر، فلما أصبح أتي النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن»[1].

والرجل هو الصحابي الجليل أسيد بن حضير، قام يصلي من الليل، وعنده فرس مربوط بحبلين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو منه وهو يقرأ سورة الكهف، وابنه بجواره، فنفر الفرس، فخاف أسيد على ابنه

(١) صحيح البخاري رقم: ٥٠١١

من حركة الفرس، فتوقف عن القراءة، فارتفعت السحابة، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ، فقال: اقرأ يا ابن حضير.. اقرأ يا ابن حضير.

قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى (ابنه)، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: وتدري ما ذاك؟! قال: لا.

قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم[1].

فقارئ القرآن يقرأ القرآن، ولا يدري بما يحيط به من غيبيات، وأن الملائكة ينصتون إليه ويستمعون، وأن السكينة تتنزل عليه، وهي أمور لا نراها، لكن نوقن بما أخبرنا به النبي صلوات الله وسلامه عليه.

هذه السكينة سكنت قلب عبَّاد بن بشر رضي الله عنه حين كان يتناوب الحراسة في غزوة ذات الرقاع مع عمار بن ياسر رضي الله عنه، فقام عبَّاد يصلي، فرماه أحد الأعداء بسهم فأصابه، فنزعه، واستمر في صلاته، ثم رماه بثانٍ، فصنع كذلك، ثم رماه بثالث، فانتزعه، وركع وسجد وقضى صلاته، ثم أيقظ عمار بن ياسر، فلما رأى عمار ما به من الدماء قال له: يا أخي.. ما منعك أن توقظني به في أول سهم رماك به؟

قال: كنت في سورة أقرؤها، وهي الكهف، وكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، فلولا أني خشيت أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، ما انصرفت ولو أُتِيَ على نفسي.

والآن، وقبل أن أدعك بين يدي الكتاب، أرجو الله أن تتعلم من هذه الصفحات كيف تربط بين ما تقرأ هنا وواقعك وما يمر بك كل يوم

(١) صحيح البخاري رقم: ٥٠١٨

من أحداث، ولتجعل من قراءة سورة الكهف كل جمعة فرصة محاسبة أسبوعية، تتعرف فيها على مواضع نجاحك وتفوقك خلال الأسبوع، فتشكر الله عليها، وتراجع مواضع إخفاقك وأسباب تعثرك، فتستغفره منها.

ولكي تستقر معاني السورة في العقل والقلب، فقد جعلت في تنسيق الكتاب علامتين بارزتين:

العلامة الأولى: الخط السميك

وكُتِبت به العبارات التي تعبِّر عن الدروس المهمة التي تتضمنها الفوائد التدبرية.

العلامة الثانية: افعل ولا تفعل

وهي التوصيات العملية المستنبطة من الآيات، وهي ما سيتبقى معك من آثار بعد غلق دفتي الكتاب، أي بعد انتهاء القراءة وابتداء العمل.

والله أدعو أن يجعل سورة الكهف حصنا منيعا تتكسر عليه أمواج الفتن العاتية التي أحاطت بنا من كل جانب، وأن يعيننا بعد اجتياز هذه الفتن أن نُسهِم في بناء حضارة تنتظرها البشرية بأسرها، إن لم تكن بأيدينا ستكون على يد غيرنا، ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



المقطع الأول

نعمة القرآن وحقيقة الدنيا







سُورَةُ الكَهۡفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ
١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ
أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا
٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨ أَمۡ حَسِبۡتَ
أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩
إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ
فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ

١ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١]:

إنـزال القـرآن مـن أعظـم النعـم الـتي تسـتوجب حمـد الله، لـذا حمِـدَ الله ذاتـه العليـة علـى هـذه النعمـة تذكـيرا لعبـاده بالحمـد وتعليمـا لهـم.

٢ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١]:

هـذا هـو الحمـد الأوجـب والأهـم، فلـولا القـرآن لزاغـت القلـوب، وتزلـزل الإيمـان، وتمكـن الشـيطان، واشـتدت الأحـزان.

٣ وصـف الله القـران بقولـه: ﴿قَيِّمٗا﴾ أي مسـتقيما لا ميـل فيـه ولا زيـغ، وكل مـن حملـه بحـق سـيكون مسـتقيما، لا ميـل فيـه ولا زيـغ.

٤ معـنى آخـر لقولـه: ﴿قَيِّمٗا﴾: القيِّـم هـو المهيمـن والمسـيطر، ولـذا سُـمِّي الإمـام شـمس الديـن محمـد بـن أبي بكـر باسـم (ابـن قيِّـم الجوزيـة)، لأن أبـاه كان ﴿قَيِّمٗا﴾ علـى (المدرسـة الجوزيـة الحنبليـة) بدمشـق، ووصـف الله دينـه بهـذه الصفـة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾؛ لأن الإسـلام قيِّـم علـى جميـع الأديـان والأفـكار والمبـادئ.

٥ ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ [الكهف:٢]:

مـن أهـم حِكَـم إنـزال القـرآن الإنـذار، فـلا تُلغِ هـذا الفصـل مـن قاموسـك بحجة سـماحة الإسـلام وعـدم التشـدد.

٦ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا﴾ [الكهف:٣]:

فـارق بـين أجـور الدنيـا، وأجـور الآخـرة، فأجـور الدنيـا منقوصـة، ومنغَّصـة بـآلام، فـإن كملـت فلابـد زائلـة، بعكـس أجـور الآخـرة، حيـث لا مـرض ولا مـوت، ولا جـوع ولا عطـش، ولا ملـل ولا حرمـان، فـكل شيء كامـل في الآخـرة علـى أكمـل الوجـوه.

٧ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ [الكهف:٤]:

من هؤلاء؟!

الذيـن أثبتـوا لله الولـد ثـلاث طوائـف. أحدهـا: كفـار العـرب الذيـن قالـوا: الملائكـة بنـات الله، وثانيهـا: النصـارى حيـث قالـوا: المسـيح ابـن الله، وثالثهـا: اليهـود الذيـن

قالوا: عزير ابن الله.

٨ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ [الكهف:٥]:

المراد إبطال حجتهم لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، فإذا لم يكن لآبائهم حجة على ما يقولون، فليسوا جديرين بأن يقلِّدوهم.

٩ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف:٥]:

كبر خروجها، وعظمت بشاعة قولهم وقبحه ووقاحته، هذا بمجرد التفوه به، فكيف باعتقاده؟!

١٠ في الآية إيماء إلى أن مثل ذلك الكلام ليس له مصدر إلا الأفواه، لاستحالة أن تتقبله العقول السوية.

١١ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ [الكهف:٦]:

كاد الهَمُّ أن يقتل نبينا لأجل هدايتنا، وبعضنا لا يزال غير مهموم بأمر هدايته!

١٢ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف:٧]:

كلُّ ما في الكون هو مجرد زينة غرضها الاختبار والابتلاء، وكلما زادت الزينة ازدادت صعوبة الاختبار، ونجاحك الحقيقي ألا تصرفك الزينة الفانية عن الآخرة الباقية.

١٣ ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧]:

لم يقل: (أكثر) لأن العبرة بالأحسن لا الأكثر!

١٤ ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧]:

نافس أعمالك.. تحدَّ إنجازاتك، واحرص كل يوم أن تكون (أحسن) من اليوم الذي قبله، فمن راقب أعماله بغرض التقويم والتحسين، وُفِّق للخير كله.

١٥ ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف:٧]:

اجعل من دعواتك اليومية: «اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت».

١٦ ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف:٨]:

كل ما في هذه الحياة من جمال وطيب أحوال فهو إلى زوال، إما بالقيامة الصغرى بالموت، أو القيامة الكبرى.

١٧ من يستطيع تغيير معالم الكون كله في لحظة، ألا يقدر على تفريج كربك في أقل من ذلك!



- احفظ أول عشر آيات من سورة الكهف؛ وحفِّظها لأولادك، فمن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال.

- اجعل من نياتك التي تستحضرها عند حمد الله: أن تحمده على نعمه الإيمانية كما على نعمه الدنيوية، ومن أهم نعم الله: نعمة القرآن.

- استقبِل إنذارات القرآن بالخوف والوجل، فبالخوف تصبر النفس عن الشهوات، وترحل عن مواطن الغفلات.

- اجعل من دعائك اليومي: «اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت».

◄ كـن طموحـا في إنجازاتـك الحياتيـة والإيمانيـة، وإيـاك أن تقنـع بمـا أنـت عليـه، مـن لـم يتقـدم تأخَّـر.

◄ احـرص كل يـوم أن تكـون (أحسـن) مـن اليـوم الـذي قبلـه، وتنافـس مـع أعمالـك لا أعمـال غـيرك.



المقطع الثاني

قصة أصحاب الكهف
«فتنة الدين»





وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨ أَمۡ حَسِبۡتَ
أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩
إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ
فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ
ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم
بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣
وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤
هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم
بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥
وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ
ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ
رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ
رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ
ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
٢٤ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا
٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ
فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧

١٨ ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩]:

ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا. قال مجاهد: «قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك».

١٩ ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف:١٠]:

ضيق الكهف أحب إليهم من سعة القصور وفاخر الدور، إن كانت ستنال من دينهم وطاعتهم لربِّهم.

٢٠ هجرة الوطن عند خوف الفتنة في الدين! قال الإمام القرطبي: «هذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين، والقرابات، والأصدقاء، والأوطان، والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة».

٢١ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾ [الكهف:١٠]:

واستجاب الله لهم وآتاهم رحمته، فوَصَلتهم بلا تأخير على عنوانهم الجديد، داخل الكهف: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾.

٢٢ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]:

الدعاء من أعظم أسباب النجاة من الفتن، وتأمل دعاء أصحاب الكهف، ثم واظِب عليه.

٢٣ قال ابن عطية: «**وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط**، فإنها كافية».

٢٤ ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: أي رحمة خاصة من خزائن رحماتك غير رحمتك الخاصة بالمؤمنين، وغير الرحمة العامة بالخلق أجمعين.

٢٥ ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]:

الرَّشَد: الخير والصلاح في الدارين، ولا يعلم الطريق إليه إلا الله، ولذا كان مما علمنا رسول الله ﷺ من جوامع الكلم من الدعاء: «اللهم أستهديك لأرشد أمري، وأعوذ بك من شر نفسي».

٢٦ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف:١١]:

للكون نواميس، متى أراد الله أن يخرقها خرقها، فهؤلاء الفتية ناموا مئات الأعوام دون طعام أو شراب، ومع هذا ظلوا أحياء، ولم تتأثر حواسهم، أو تبلى أجسامهم، لأن الله أراد هذا.

٢٧ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف:١٢]:

أليس الله قد علم كل شيء قبل وقوعه؟! بلى، لكن العلم هنا علم مشاهدة لا مجرد علم غيب، ولابد من خروج الحدث لعالم الشهادة والواقع لتقوم الحجة على الخلق.

٢٨ العلم هنا متعلِّق بأي الحزبين المختلفين من الناس اختلافا في مدة لبث أصحاب الكهف، أيهما أدقُّ إحصاء وضبطا لمدة لبثهم.

٢٩ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف:١٣]:

قال ابن عباس: «ما بعث الله نبيا إلا وهو شاب، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وقرأ: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾».

٣٠ قال ابن كثير: «ذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شبابا، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يُسلِم منهم إلا القليل».

٣١ هكذا كانوا ثم إلى هذا صاروا! قال مجاهد: «بلغني أنه كان في آذان بعضهم القِرَطَة يعني الحلق، فألهمهم الله رشدهم، وآتاهم تقواهم، فآمنوا بربهم».

٣٢ ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]:

ابدأ أول خطوة في طريق الهداية، وسيأخذ الله بيدك، وسينعم عليك بالمزيد، فالحركة بركة، والبركة زيادة، ولا أحلى ولا أعظم من زيادة الكريم الوهّاب.

٣٣ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]:

وكأن الله يمدح هنا كل شاب مؤمن مهتدٍ، وفي الحديث: «إن ربك ليعجب للشاب لا صبوة له»[1]، أي ليس له ميل إلى الهوى لاعتياده الحسنات وقوة عزيمته في اجتناب السيئات.

٣٤ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف:١٤]:

قد يخونك قلبك أثناء سيرك، فتتعثر في طريق الحق، وقد يتسرب نور الإيمان من قلبك فيظلم، **وما لم يربط الله على قلبك برباط التثبيت، فلا أمل لك في الثبات.**

٣٥ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف:١٤]:

لا تغتر كثيرا بصلاح قلبك، فما سُمِّي القلب قلبا إلا من تقلُّبه، **واجعل خوفك من الزلل أعظم حافز لك على الأخذ بأسباب الثبات.**

٣٦ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف:١٤]:

الربط على القلوب تصوير لقوة الإيمان، وكأن الله أودع الإيمان في قلوبهم وربط عليه برباط محكم، فلا سبيل لخروجه منها أو تزلزله.

٣٧ ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤]:

هذه الآية مؤكدة بثلاثة مؤكِّدات: اللام، وقد، والقسَم الذي دلَّت عليه اللام، وهذه المؤكِّدات تدل على قوة إيمان هؤلاء الفتية، وأن الله ثبَّت قلوبهم ليتمكنوا -وهم نفرٌ قلائل- من مواجهة أمة بأسرها.

٣٨ الحق لا يُعرف بقلة ولا كثرة، **فالزم الحق ولو كنت وحدك.** قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنتَ وحدك».

٣٩ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف:١٥]:

(١) السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨٤٣

كل قـول لـيـس عليـه دليـل مـردود، فـهـلا أقامـوا بيِّنـةً علـى كـون أصنامهـم الـتي يعبـدون آلهـة؟! وهـي دعـوة لتحكيـم العقـل الـذي وهبنـا الله إيـاه، وعـدم التسـليم للخرافـات والأوهـام.

٤٠ ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف:١٥]:

قـال الزمخشـري: «وهـو دليـل علـى فسـاد التقليـد، وأنـه لا بـد في الديـن مـن حجـة حـتى يصِـحَّ ويثبـت».

٤١ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف:١٥]:

قـال ابـن مسـعود رضي الله عنه: «أيهـا النـاس.. مـن سـئل عـن علـم يعلمـه فليقـل بـه، ومـن لـم يكـن عنـده علـم فليقـل: الله أعلـم، فـإن مـن العلـم أن يقـول لمـا لا يعلـم: الله أعلـم».

٤٢ سـئل الإمـام الشـعبي عـن مسـألة فقـال: لا أُحسِـنها، فقـال لـه أصحابـه: قـد استحيينا لـك، فقـال: «لكـن الملائكـة لـم تسـتحي حيـن قالـت: لا علـم لنـا إلا مـا علَّمتَنـا».

٤٣ ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف:١٦]:

مفارقـة الأبـدان لأماكـن العصيـان لـون مـن الإنـكار، وراحـة لقلـوب الأبـرار، وصيانـة لهـا مـن التعلـق بـالأوزار.

٤٤ ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف:١٦]:

اعـتزال العصـاة لـيـس سـببـه كراهـيـة ذواتـهـم بـل كراهـة أعمالـهـم، فـإن فارقـوا الذنـب، فهـم إخوانـنـا.

٤٥ هـل يعـتزل المؤمـن أمتـه، فيغلـق عليـه بابـه ليحفـظ دينـه؟! والجـواب: يفعلـه إن كان بقـاؤه بينهـم سـببا لفتنتـه عـن دينـه، وأمـا إذا اسـتطاع أن يأمرهـم وينهاهـم، فـلا. قـال رسـول الله ﷺ: «المؤمـن الـذي يخالـط النـاس ويصـبر علـى أذاهـم، أفضـل مـن المؤمـن الـذي لا يخالـط النـاس ولا يصـبر علـى أذاهـم»[١].

(١) صحيح الجامع رقم: ٦٦٥١

٤٦ اعتزل مجالس الغيبة إذا لم تستطع الإنكار فيها على المغتاب، فالمستمع مغتاب إن لم يذبَّ عن أخيه الغيبة.

٤٧ من الاعتزال المحمود: اعتزال منتديات وصفحات الشبهات التي تمس العقيدة إذا كنت غير خبير بشبهات الملحدين والمرجفين، وكيفية الرد عليها، فربما ضاع إيمانك في هذه المغامرة.

٤٨ ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]:

سبحان من جعل السعادة في كهف، والشقاء في قصر.. **سعادتك من داخلك لا من خارجك!**

٤٩ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٧]:

من آثر الله في أمره ونهيه آثره الله في جميع شأنه، وهذه كرامة لأصحاب الكهف جزاء تضحيتهم في سبيل الله، فقد خرق لهم النظام الكوني، فكانت الشمس إذا طلعت تميل عنهم يمينا، وعند غروبها تميل عنهم شمالا، فلا ينالهم حرها ولا تؤذي أبدانهم، بينما هم نائمون في فجوة مِنْ الكهف أي متسع منه، يطرقهم فيه الهواء والنسيم العليل.

٥٠ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف:١٧]:

هدايتك ليست إحدى إنجازاتك، وطاعتك لربك ليست سوى أحد آثار نعمة الله عليك.

٥١ ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]:

كثير من الناس أذكى منك وأكثر علما، ومع هذا ضلوا طريق الحق، وفي هؤلاء قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أوتوا ذكاءً وما أُوتوا زكاءً، وأُعطوا فُهومًا، وما أُعْطُوا علومًا، وأُعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأحقاف:٢٦]».

٥٢ ﴿??????????????????????????????﴾ [الكهف:١٨]:

كان النـاس يتنازعـون في زمانهـم: هـل تُعـاد الأرواح دون الأبـدان أم تُعـاد الأرواح والأبـدان؟ فجعـل الله أمـر هـؤلاء الفتيـة آيـة لإعـادة الأبـدان، وأعـثر عليهـم أهـل مدينتهـم.

٥٣ مـا هـدف العثـور عليهـم؟! لتكـون آيـة تغـرس اليقـين في قلوبهـم، فـإن حالهـم في نومهـم وانتباههـم بعدهـا، كحـال مـن يمـوت ثـم يُبعَـث، ومـن تـوفى نفوسـا وأمسـكها ثلاثمائـة عـام، ثـم أعـاد إليهـا الحيـاة، قـادر عـلى أن يتـوفى أرواح النـاس إلى أن يردهـا عـلى أبدانهـم يـوم القيامـة.

٥٤ ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ﴾ [الكهف:١٨]:

قـال ابـن القيـم: «الغفلـة نـوم القلـب، ولهـذا تجـد كثـيرًا مـن الأيقـاظ في الحـس نيامـا في الواقـع، ضـد حـال مـن يكـون يقظـان القلـب وهـو نائـم، فـإن القلـب إذا قويـت فيـه الحيـاة لا ينـام إذا نـام البـدن».

٥٥ ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ [الكهف:١٨]:

إذا كنتَ مع الله، فستشملك رعايته في كل لحظة حتى في تقلبك أثناء نومك.

٥٦ ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ [الكهف:١٨]:

الأخـذ بالأسـباب واجـب! قـال السـعدي: «وهـذا أيضـا مـن حفظـه لأبدانهـم، لأن الأرض مـن طبيعتهـا، أكل الأجسـام المتصلـة بهـا، فـكان مـن قـدر الله، أن قلَّبهـم عـلى جنوبهـم يمينـا وشـمالا بقـدر مـا لا تفسـد الأرض أجسـامهم، والله تعـالى قـادر عـلى حفظهـم مـن الأرض، مـن غـير تقليـب، ولكنـه تعـالى حكيـم، أراد أن تجـري سـنته في الكـون، ويربـط الأسـباب بمسـبباتها».

٥٧ لا تتحـرك ذرة في هـذا الكـون إلا بـإذن الله، حـتى تقلبـك أثنـاء نومـك لا يكـون إلا بإذنـه.

٥٨ ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ [الكهف:١٨]:

كلـبٌ حـرَس الصالحـين وليـس منهـم، فخلَّـد الله ذكـره في كتابـه، والرسـالة: سِـر مـع الصالحـين وإن لـم تكـن منهـم: (هـم القـوم لا يشـقى جليسـهم).

٥٩ كلبٌ رفع الله ذكره بصحبة أهل الحق، وفحوى الرسالة ومراد الآية:

ليس هناك ما يرفع أقدار الخلق مثل اتباع الحق، ولا يهوي بقدر العبد مثل اتباع أهل الباطل، وإن قام الليل وصام النهار.

٦٠ ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف:١٨]:

قال القشيري: «كلبٌ خطا مع أحبّائه خطوات، فإلى يوم القيامة يقول الصبيان بل يقول الحق سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ...﴾، فهل ترى أن مسلما يصحب أولياء الله من وقت شبابه إلى وقت مشيبه، يردُّه الله يوم القيامة خائبا؟! إنه لا يفعل ذلك».

٦١ ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف:١٨]:

الوصيد هو الباب. قال ابن كثير: «وكان جلوسه خارج الباب، لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورَد في الصحيح».

٦٢ ذكر الله تبارك وتعالى في السورة الكلب أربع مرات، وكأن الإشارة: لو نصر الحقَّ كلبٌ من الكلاب، فستغدو سيرته بمرور السنين أشهر وأشرف من سير أعداء الحق المجرمين.

٦٣ ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨]:

ألطاف الله تحمي أولياء الله، فقد حفَّ الله هؤلاء الفتية بالرعب واكتنفهم بالهيبة، وسبب ذلك ما قاله ابن كثير: «لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم».

٦٤ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف:١٩]:

لم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، ولم يستعمل حرف العطف (ثمّ)؟

والجواب: استعمل (كذلك) مع حرف العطف (الواو) للتنبيهِ على أن بعثهم كان معجزة كإنامتهم، أي كما جعلنا إنامتهم هذه الفترة الطويلة آية، جعلنا بعثهم كذلك آية.

٦٥ ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ [الكهف:١٩]:

قال الزمخشري: «جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذبا، وإن جاز أن يكون خطأ».

٦٦ ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الكهف:١٩]:

درس إداري! ابعثوا أي واحد منكم، فهم جميعا يمتلكون الكفاءة اللازمة للقيام بهذه المهمة، ولن يتوقف العمل إن غاب عنه أحدهم، لأن غيره سيكون مكانه، وبنفس الكفاءة.

٦٧ ﴿أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الكهف:١٩]:

قال ابن عباس: أحلُّ ذبيحة، وكانوا يذبحون للطواغيت أو يذبحون الخنازير.

٦٨ ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الكهف:١٩]:

لم يقولوا: أيها أشهى طعاما، ولا أيها أرخص طعاما، لأن **المؤمن يقوده إيمانه، لا ملذاته وشهواته، يعلِّمنا هؤلاء الفتية ترتيب الأولويات عند وجود الشبهات وغزو الشهوات.**

٦٩ ﴿أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الكهف:١٩]:

مطارَدون ومهدَّدون بالقتل، ومع هذا (أحرص) على (أزكى) طعام أي أكثره حلالا، وليس أي طعامٍ حلال.. ما أجمل أن تقتدي بهؤلاء.

٧٠ ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ [الكهف:١٩]:

لماذا ذكر الرزق ولم يذكر الطعام؟! والجواب: لأنهم لم ينشغلوا بالنعمة عن المنعم، فذكروا نعمة الرازق عليهم في كل طعام رزقهم به، **ما أجمل أن نذكر نعم الله علينا في أدق التفاصيل.**

٧١ **غربة الدين وقلة المتقين وكثرة المتهاونين ليست مبررا للتفريط والتقصير.**





[الكهف:١٩]:

في الحديث: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كلَّ ذي نعمة محسود»[1].

٧٣ ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الكهف:١٩]: أصلٌ في كتمان السِّر والحذر عند الخوف من ظالم أو عدو.

٧٤ استعمل أصحابُ الكهف نون التوكيد في كلامهم ليؤكِّدوا على صاحبهم الذي أرسلوه بأن لا يُشْعِرَ بهم أحدًا، وهو ما يعكِسُ حالة الخشية من بطشِ قومهم حتى قالوا: ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ [الكهف:٢٠]:

٧٥ ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ [الكهف:٢٠]:

لا تتعجَّب: هناك في هذا العالم المتحضِّر من يرغب في قتلك وتمزيقك بأبشع طريقة، فقط لأنك مسلم.

٧٦ ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ [الكهف:٢٠]:

والرجم: قتلٌ بوحشية، وفي الآية إشارة إلى شدة عداوة قومهم لهم، وأن هذه العداوة ليست مع الملك وحده، فالرجم لا يقوم به إلا كثير من الناس.

٧٧ ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ [الكهف:٢٠]:

نتيجة ظهور أهل الكفر على أهل الإسلام إما القتل أو الردة، وهو ما حدث ويحدث وسيحدث في كل زمان.

٧٨ ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠]:

الفتنة لا تُؤمَن على حي! فمع قوة إيمان أصحاب الكهف، لكنَّ هناك خوفا عليهم أشد من خوف القتل، ألا وهو ضياع الدين.

٧٩ إن قيل: أليس لو أُكرِهوا على الكفر وقلبهم مطمئن بالإيمان، لم يكن

(١) صحيح الجامع رقم: ٩٤٣

عليهم ذنب، فكيف قالوا: ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾؟!

أجيب: خافوا لو ردوهم إلى الكفر مكرهين، أن يميل قلبهم إلى الكفر بمرور الوقت وشدة الإكراه، فيصيروا كافرين على الحقيقة.

٨٠ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف:٢١]:

لولا الله ما عرفنا عنهم شيئا، ولا انتفعنا بقصتهم، فالحمد لله على نِعَمِه الجلية والخفية.

٨١ حفِظ هذا الدينَ فتيةٌ صغار، وقومهم كلهم كفار، فكيف لا يحفظ الدين كبارٌ، نشأوا في أبوين مسلمين وأمة مسلمة؟!

٨٢ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]:

قال ابن كثير: «والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد».

٨٣ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢]:

لا تهتم كثيرا بالشكليات، وركِّز على جوهر الموضوع وأصله.

٨٤ **احذر الخلاف العقيم!** عقد الإمام الشاطبي بابا خاصا للتنبيه على هذه المسألة، فقال: «كل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها خوض في ما لم يدل على استحسانه دليل شرعي».

٨٥ ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢]:

ولا تسأل أحدا عن قصتهم سؤال مسترشِد، فإن ما أوحي إليك فيه الكفاية عن غيره، ولا تسأل أحدا من أهل الكتاب سؤال متعنِّت، يريد فضح المسؤول وإبطال قوله، فإن هذا ينافي مكارم الأخلاق. ذكره البيضاوي

٨٦ **لا تستفت إلا من تثق في علمه وأمانته!** قال السعدي: «فيها دليلٌ على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتَى فيه،

أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورعٌ يحجزه».

٨٧ لماذا الإبهام؟!

قال الشيخ الشعراوي: «أبهمهم الله لتتحقَّق الفائدة المرجوَّة من القصة، أبهمهم زمانا، وأبهمهم مكانا، وأبهمهم عددا، وأبهمهم أشخاصا؛ ليشيع خبرهم بهذا الوصف في الدنيا كلها، لا يرتبط بزمان ولا مكان ولا أشخاص، فحمل راية الحق، والقيام به أمر واجب وشائع في الزمان والمكان والأشخاص، وهذا هو عَيْن البيان للقصة، وهو المغزى من هذه القصة».

٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢]:

أدب حَسْم الخلاف! قال ابن كثير: «اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعَّف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدلَّ على صحته (أي القول الثالث)، إذ لو كان باطلا لردَّه كما ردَّهما.

ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف:

أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف في ما لا فائدة تحته».

٨٩ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]:

في صحيح البخاري: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشِقِّ رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال:

إن شـاء الله، لجاهـدوا في سـبيل الله، فرسـانا أجمعـون»[1].

٩٠ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]:

أي: لا تقولـن سـأفعل غـدا شـيئا إلا مـع قولـك (إن شـاء الله)، **وإذا نسـيت ذكـر المشـيئـة، ثـم تذكرتها، فقلها عنـد تذكـرك لهـا واسـتدرِك.** وهـو قـول الجمهور، قـال بـه ابـن عبـاس والحسـن البصـري.

٩١ ذَكَـر الله هنـا مـا يعينـك علـى التذكـر. كان ابـن تيميـة يقـول كمـا يحـدِّث عنـه أحـد تلامذتـه: «إنـه ليقـف خاطـري في المسـألة أو الـشيء أو الحالـة الـتي تُشـكِل علـيَّ، فأسـتغفر الله تعـالى ألـف مـرة أو أكـثر أو أقـل حـتى ينشـرح الصـدر، وينحـلَّ إشـكال مـا أُشْـكِل».

٩٢ ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الكهف:٢٤]:

هـذا أمـرٌ مـن الله لنبيـه أن يدعـوه ويرجـوه، ويثـق بـه أنـه سـيهديه لأقـرب طريـق موصـل إلى الرُّشـد، فـلا رُشْـدَ للعبـد بغـير سـؤال الـرب.

٩٣ ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف:٢٥]:

مـاذا تسـاوي ثلاثـة قـرون في أعمـار الأمـم؟! وهـل كان لنومهـم هـذه الفـترة أثـر أو فائـدة؟! والجـواب: نعـم، كان بعثهـم بعـد عشـرات الأعـوام مفتـاح إيمـان قومهـم بالبعـث والنشـور، **فـلا تسـتبطئ نصـر الله، ولا تسـتعجِل مصـارع الطغـاة.**

٩٤ خلَّـد الله ذكـر أصحـاب الكهـف علـى مـر الأزمـان، فظلـت سـيرتهم خالـدة إلى الآن، وأمـا مـن ظلموهـم وأخرجوهـم مـن ديارهـم وطاردوهـم؟! هـل تحـس منهـم مـن أحـد أو تسـمع لهـم ركـزا؟ فيـا كلَّ ثابـت علـى الحـق:

أيقِن أن العاقبة والذكر الجميل للمتقين.

٩٥ من إعجاز القرآن!

قـال الطاهـر بـن عاشـور: «واليهـود الذيـن لقَّنـوا قريشـا السـؤال عنهـم يؤرِّخـون

(١) صحيح البخاري رقم: ٢٨١٩

الأشهر بحساب القمر، ويؤرِّخون السنين بحساب الدورة الشمسية، فالتفاوت بين أيام السنة القمرية وأيام السنة الشمسية يحصل منه سنة قمرية كاملة في كل ثلاث وثلاثين سنة شمسية، فيكون التفاوت في مائة سنة شمسية بثلاث سنين زائدة قمرية، كذا نقله ابن عطية عن النقاش المفسِّر، وبهذا تظهر نكتة التعبير عن التسع السنين بالازدياد، وهذا من علم القرآن وإعجازه العلمي الذي لم يكن لعموم العرب علم به».

٩٦ ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف:٢٦]:

هذا تعجُّبٌ من سعة علم الله ومدحٌ لقدرته، فكأنه قال: ما أبصر الله وأسمَعَه.

٩٧ ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف:٢٦]:

قال قتادة: لا أحد أبصر من الله و لا أسمع !! فلا تقلق والله يرعاك ويسمعك ويراك.

٩٨ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]:

الحكم لله وحده، كما أن العبادة لله وحده، ولقد قال الله في سورة الكهف: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، فحكمه كعبادته، لا فارق بينهما، والآيتان متجاورتان في نفس السورة.



◄ أفضل الدعاء أدعية القرآن، فأضِف إلى قائمة دعواتك:
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا.

◄ إذا كنت شابا، فأمامك فرصة ثمينة للفوز بأعظم ثواب إذا استقمت على أمر الله، فإن الله يعجب من استقامتك أي

يرتضي فعلك، ويستحسنه استحسان المعجب، والتعجب من الله استعظام الشيء.

- استزِد من الهداية وسيزيدك الله، فإنك إن أقبلت على الله تمشي، جاءك يهرول.
- كن موضوعيا، واطلب الدليل في كل ادعاء أو زعم، ولا تصدِّق قولا بغير بيِّنة: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾.
- لا تستحِ أن تقول إذا سئلت عما لا تعلم: الله أعلم.
- خالط الناس ما سلِم لك دينك، واعتزل كل مجلس يخدش إيمانك. قال ابن مسعود: «خالِط النَّاس ودينَك لا تَكْلِمَنَّه»، والكَلْم: الجرح، أي لا تجرح دينك.
- صاحب الصالحين، وراجع قوائم أصدقائك لتحذف منها المفسدين والفاسقين، وعندها يخلِّد الله ذكرك في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.
- استعِن على قضاء حوائجك بالكتمان، ولا تخبر أحدا بأهدافك، فإنك إن فعلت، في الأغلب لن تحقِّقها.
- احرص على أكل الحلال، ولا تتهاون بتناول الشبهات، متذرعا بفساد الزمان وقلة الأعوان.
- لا تهتم كثيرا بالشكليات، وركِّز على جوهر أي موضوع وأصله.
- لا تخض في مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض في مثل هذا مما نُهينا عنه شرعا.
- لا تستفْتِ في شؤون دينك إلا من تثق في علمه وأمانته!
- لا تنْسَ أن تقدِّم المشيئة إذا نويت الإقدام على فعل شيء.



المقطع الثالث

دواء فتنة الدين





فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧
وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ٣١ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ

٩٩ ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٢٧]:

تسلّ -حين تتقلب عليك الأحوال وتتوالى الأهوال- بأنوار الآيات وأضواء الوحي، **فخير ما يبدّد ظلمات الأحزان أنوار الإيمان**، والقرآن هو نبع هذه الأنوار.

١٠٠ ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [الكهف:٢٧]:

كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: ائت بقرآن غير هذا أو بدّله، والتبديل يكون بالزيادة والنقصان، أو بإخفاء بعضه مما لا يرضون سماعه، وكأن أمر الرسالة عملية تفاوضية تهدف للالتقاء في منتصف الطرق! فنودي ﷺ: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾

١٠١ ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٢٧]:

قال الإمام النوويُّ: «**يُستَحبُّ لتالي القرآن إذا كان منفردًا أنْ يكون خَتْمُهُ في الصَّلاة**، ويستحبُّ أن يكون ختمه أوَل الليلِ أو أول النهار، وروى الدارمي في سُننه عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه: إذا وافق ختم القُرآنِ أوّلَ الليل، صلّت عليه الملائكة حَتَّى يُصْبِح، وإنْ وافق خَتْمُه أوّل النَّهار صلَّتْ عليه الملائكة حَتَّى يُمْسِي».

١٠٢ ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [الكهف:٢٧]:

يشمل التلاوة اللفظية والتلاوة العملية، أما التلاوة اللفظية فمعلومة، وأما التلاوة العملية فأن تعمل بالقرآن، فإذا عملتَ به فقد تلوتَه.

١٠٣ ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٢٧]:

اقرأ كتاب ربك لتكون معانيه وحقائقه ملازمة لك، مستقرة في قلبك، وإذا كان هذا أمر الله إلى المعصوم الذي لا سبيل إلى زيغ قلبه، فكيف بمن أحاطت به الشبهات وأسباب الزيغ من جميع الجهات؟!

١٠٤ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف:٢٧]:

ما العلاقة بين الأمر بتلاوة آيات الله والإشارة إلى ألا مبدِّل لكلماته؟!

والجواب: لما كان الحامل على عدم إبلاغ الرسالة وجود من ينقض هذه الرسالة، لذا قال تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، فلا شك في وقوعها، لذا لا عذر في التقصير في إبلاغها. أفاده البقاعي

١٠٥ في الآية تعظيم للقرآن، وترغيب في الإقبال عليه، فأحكام القرآن ثابتة، وقوانينه نافذة، وسننه جارية، فمن أراد معرفة ما تستقيم به أحوال الدنيا والآخرة، فعليه بالقرآن.

١٠٦ لا أحد يستطيع أن يبدِّل كلمات الله الكونية والشرعية.

أما الكونية، فإن الله تعالى إذا قال لشيء: (كن)، كان ولابد، ولا مغيِّر لما أخبر الله أنه كائن في الأجل الذي أخبر الله أنه واقع فيه.

وأما الشرعية فلا أحد يستطيع أن يبدِّل كلمات الله التي أحلَّ الله بها وحرَّم، والنفي ليس نفيا للوجود، بل للمشروعية، فواجب على الجميع أن يستسلموا لأحكام الله من الحلال والحرام.

١٠٧ ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧]:

الالتحاد من اللحد وهو الميل، والملتحد هو المكان الذي يميل إليه من يطلب ملجأ للنجاة.

وهي جملة تحذير ووعيد في شخص الرسول ﷺ، لكن المراد: كلُّ من قصَّر في تلاوة كتاب الله، أو حاول تبديل ألفاظه أو أحكامه أو معانيه.

١٠٨ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨]:

صُحبة الصالحين تحتاج إلى صبر، ولابد من عدم مفارقتهم ولو للحظة: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، فالالتفات لغير الصالحين قد يودي بصلاحك.

١٠٩ من المروءة: الصبر على زلات الإخوان، ومن أجمل ما قيل في ذلك:

هبْني أسأتُ، كما تقولُ.. فأين عاطفة الأخوَّةْ؟ أو إن أسأتَ كما أسأتُ.. فأين فضلك والمروَّةْ؟

١١٠ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف:٢٨]:

ما صفات الصحبة التي يجب أن تلزمها؟

أن من أعمالهم: كثرة الذكر والدعاء. قال الإمام الرازي: «في قوله: بالغداة والعشي وجوه:

الأول: المراد كونهم مواظبين على هذا العمل في كل الأوقات، كقول القائل: ليس لفلان عمل بالغداة والعشي إلا شتم الناس.

الثاني: أن المراد صلاة الفجر والعصر.

الثالث: المراد أن الغداة هي الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من النوم إلى اليقظة، وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت إلى الحياة، والعشي هو الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من اليقظة إلى النوم، ومن الحياة إلى الموت، والإنسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله، عظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه».

١١٢ دلت الآية على استحباب العمل الصالح والدعاء في وقتي الغداة والعشيّ، ومن ذلك أذكار الصباح والمساء، فلذلك خصَّهما الله بالذِّكر.

١١٣ الغداة اسم الوقت الذي بين الفجر وطلوع الشمس، ويُستَحب فيه ذكر الله. قال رسول الله ﷺ: «ما أصبحتُ غداة قط إلا استغفرتُ الله تعالى فيها مائة مرة»(١).

١١٤ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨]: الله غايتنا!

الواجب في الدعاء وسائر الطاعات: إخلاص النية لله، فلا رياء ولا سُمعة ولا

(١) صحيح الجامع رقم: ٥٥٣٤

طمع في غرض من أغراض الدنيا.

١١٥ ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف:٢٨]:

في صحيح مسلم أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذَتْ سيوفُ الله من عنق عدو الله مأخَذها (أي لم تستوفِ حقها من عنقه لسوء أفعاله)، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدِهم، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال: «يا أبا بكر.. لعلَّك أغضبتَهم؟ لئن كُنْتَ أغضبتهم لقد أغضبتَ ربَّك»، فأتاهم فقال: يا إخوتاه.. أغضبتُكم؟ فقالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[1].

١١٦ لما نظروا بقلوبهم إلى الله فأطاعوه، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ألا يرفع بصره عنهم، وهذا جزاؤهم في العاجل، فضلا عما ينتظرهم من نظر الله إليهم في الآجل.

١١٧ إياكم والنظرة السطحية! قال ابن عاشور: «تعريضٌ بحماقة سادة المشركين الذين جعلوا همهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة، وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم النفسية، فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيِّرة، وجعلوا همَّهم الصور الظاهرة».

١١٨ ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [الكهف:٢٨]:

قال أبو حامد الغزالي: «الفاسق الْمُصِرُّ على الفسق، فلا فائدة في صحبته؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لَا يخاف الله لا تُؤْمَنُ غائلتُه، ولا يوثَق بصداقته، بل يتغيَّر بتغيُّر الأغراض».

١١٩ من قدوتك؟! من مثلك الأعلى؟! **إياك أن تقتدي بالغافلين عن ذكر الله**، اللاهين عن أسباب النجاة؟!

١٢٠ ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف:٢٨]:

لا يجتمع ذكر الله مع الهوى في قلب عبد، **إذا انشغل اللسان بالذِّكْر، فرَّ الهوى**

(١) صحيح مسلم رقم: ٢٥٠٤

مـن القلب.

١٢١ ﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [الكهف:٢٨]:

أعظم عـلاج للغفلـة: ذكـر الله، لكـن ليـس أي ذكـر، إنمـا ذكـر القلـب؛ لأن الغفلـة مصدرها القلـب، وليـس مـن الحكمـة أن تعالـج القنـوات، وتـترك العـين وأصـل الداء.

١٢٢ ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهـف:٢٨]: مـن التفريـط. قـال قتـادة: «تـراه حافظـا لمالِـه، مضيِّعـا لدينـه».

١٢٣ غفلة اللسان عن الذكر تمهيدٌ لافتراس الهوى للقلب.

١٢٤ ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩]:

هـذا الـكلام وإن كان خارجـا مخـرج التخيـير، إلا أنـه غايـة التهديـد والوعيـد، وهـي تـدل علـى أن الله لا ينتفـع بإيمـان المؤمنـين ولا يضـره كفـر الكافريـن، بـل نفـع الإيمـان وضـرر الكفـر يعـود علـى صاحبـه فحسـب.

١٢٥ ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩]:

الجـزاء مـن جنـس العمـل: ضيَّـق الظالمـون علـى المؤمنـين في الدنيـا، وحاصروهـم في أرزاقهـم وأوطانهـم، وأحاطوهـم بسـرادقات الإيـذاء والعنـاء، فعاملهـم الله بالمثـل، وضيَّـق عليهـم في الآخـرة، وأحاطهـم بسـرادقات النـار.

١٢٦ ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ﴾ [الكهف:٢٩]:

شـدة عـذاب النـار! قـال ابـن عرفـة: «ولـم يقـل: وجوههـم؛ إشـارة إلى عظمتـه وتعـدي دخانـه للغـير بحيـث يخرج عنهـم، ويـكاد يشـوي وجـوه غيرهـم معهـم».

١٢٧ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]:

هـذه قاعـدة عامـة: الله لا يضيـع أجـر مـن أحسـن، وهـي تصلـح أن تكـون جاريـة علـى المؤمـن والكافـر؛ لذلـك لـم يَقُـل: (إنَّـا لا نضيـع أجـر المؤمنـين)، لأن الكافـر قـد يُحسِـن العمـل، فـلا يبخسـه الله تعـالى حَقّـه، بـل يوفّيـه حظـه مـن الجـزاء والثنـاء والعطـاء في الدنيـا.

١٢٨ لن يضيع ثواب زفرة ألم، أو لحظة سهر، أو تنهيدة كرب، ستفاجئك يوم الحساب، وتسعد بها على رؤوس الأشهاد.

١٢٩ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف:٣١]:

من يحليهم بالأساور؟ أهي الحور العين؟ أم الملائكة؟ أم الولدان المخلدون؟ أم هو الله جل جلاله؟ أطلق لها خيالك!

١٣٠ ما أروع أساور الجنة! قال رسول الله ﷺ:

«لو أنَّ رجلا مِنْ أهل الجنة اطَّلَع فبدا أساوِرُه، لَطَمَس ضوء الشمس كما تَطْمِس الشَّمْسُ ضوء النُّجوم»(١).

١٣١ ما كان محرَّما عليهم من أساور الذهب بالأمس، ها هم يتمتعون به اليوم، ولو تمتعوا بالحرام في الدنيا ما تمتعوا بنعيم الجنة. في الحديث: «من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة»(٢).

١٣٢ مخدومون حتى في لبس الحُليِّ، فلا يباشرونه بأنفسهم، كما أن الثمار تدنو منهم فلا يمدون إليها أكفَّهم ليقطفوها، وكما يشتهون الطير في الجنة، فيَخِرُّ بين أيديهم مشويا!

١٣٣ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف:٣١]:

طال عليهم البلاء وتنوَّعت ألوان العناء، فطاب لهم في الجنة الاتكاء.

---

(١) صحيح الترمذي رقم: ٢٥٣٨

(٢) صحيح الجامع رقم: ٦٥٢٥

المقطع الرابع

قصة صاحب الجنتين
«فتنة المال»



فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ٣١ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ
بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ
جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ
عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ
مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ
أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ
حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ

١٣٤ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف:٣٢]:

واضرب مثلا لفريقين، لإظهار عاقبة حالتين، عن طريق رجلين.

فالفريقان هما المؤمنون الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، والكافرون الذين غرتهم الدنيا واستنكفوا عن مجالسة المؤمنين.

والحالتان: العصيان مع الغنى، والطاعة مع الفقر.

والرجلان: قيل هما رجلان من بنى إسرائيل أحدهما: كافر، والآخر: مؤمن.

١٣٥ ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف:٣٣]:

معناه: ولم تنقص منه شيئا، فالأرض الميتة أخذت الماء فأعطت الثمار، فلم تظلم، وكثير من الأحياء أخذ نعم الله ولم يُعطِ شيئا، بل كان ظالما، أُنعِم عليه فلم يشكر، فكان الجماد أفضل منه!

١٣٦ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤]:

هذا شأن من طمس الله بصائر قلوبهم، تزيدهم نِعم الله بطرا لا شكرا، وشرا لا خيرا.

١٣٧ تحذير خطير! أعظم فتنة لهذه الأمة: فتنة المال. قال رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال»[1].

١٣٨ الكِبر من أهم عوائق الحوار، إياك أن تحاور متكبِّرا.

١٣٩ ما أصدق قول قتادة يصف أماني هؤلاء الفجار: «تلك -والله- أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر».

١٤٠ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤]:

افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «أتفتخران بأجساد بالية،

(١) صحيح الجامع رقم: ٢١٤٨

وأرواح في النار؟ إن يكن لكما عمل فلكما أصل، وإن يكن لكما خلق فلكما شرف، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم، وإلا فالحمار خير منكما، ولستما خيرا من أحد».

١٤١ بم كانوا يفخرون؟

افتخرتْ قريش عند سلمان، فقال سلمان: «لكني خُلِقتُ من نطفة قذرة، ثم أعود جيفةً مُنتنة، ثم يؤدَّى بي إلى الميزان، فإن ثقلت فأنا كريم، وإن خفَّت فأنا لئيم».

١٤٢ بم افتخروا؟!

افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: مِنَّا غَسِيْلُ الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبر: عاصم بن ثابت، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، فقالت الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول اللهِ ﷺ: أُبَيٌّ، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

١٤٣ لا تقارن نفسك بالأغنى منك، فهذه بوابة الحسد والحقد، ولا بالأدنى منك، إن كانت هذه المقارنة مفتاحَ الكِبْر والعُجب.

١٤٤ في الحديث: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[1].

١٤٥ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف:٣٥]:

أكثر ما يدفع الناس إلى الظلم: استبعاد الموت، مع ظن دوام النعمة وعدم زوالها.

١٤٦ ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الكهف:٣٥]:

قالها لطول أمله، وتمادي غفلته، وغلبة حب الدنيا على قلبه، وما أكثر اليوم من يشبهه! قال صاحب الكشاف: «وترى أكثر الأغنياء من المسلمين، وإن

(١) صحيح الجامع رقم: ١٥٠٧

لم يطلقوا بمثل هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به، منادية عليه».

١٤٧ هذه الآية دليل دامغ على أن **من طال أمله ساء عمله.**

١٤٨ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦]:

قال السعدي: «فأي تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أُعْطِي في الدنيا أُعْطِي في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسِّعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب».

١٤٩ قال الإمام الرازي: «وهذا يدُلُّ على أن الشاكَّ في حصول البعث كافر».

١٥٠ ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦]:

أقسم هذا الغني الكافر على أنه إن رُدَّ إلى ربه -على سبيل الفرض والتقدير- ليجدن في الآخرة خيرا من جنته الدنيوية، يتمنى على الله الأماني، ويطمع في ما لا يستحق .

١٥١ لسان حال البعض: لولا كرامتي على ربي ما أعطاني، ولولا حبه ما أغناني! نظرة خاطئة يتبناها كثير من أغنياء اليوم.

١٥٢ ظنَّ أن غناه في الدنيا سيرافقه إلى الآخرة، وهي عادة مكرورة عند المغرورين كما حدث مع العاص بن وائل، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «كنت قَيْنا (حدَّادا) في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تُبعَث، قال: دعني حتى أموت وأُبعَث، فسأوتى مالا وولدا فأقضيك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾»(١).

١٥٣ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧]:

(١) صحيح البخاري رقم: ٢٠٩١

أعظم الجحود أن تجحد من خلقك، وأبشع نكران للجميل ما كان تجاه من سوَّاك فعدلك.

١٥٤ قد ينجح الفقير في امتحان المنع فيصبر، ويسقط الغني في امتحان العطاء فيكفر، فكلا الفريقين مُتعرِّضٌ للابتلاء.

١٥٥ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٣٨]:

الفخر الحقيقي بالإسلام، والنعمة الباقية هي نعمة التوحيد، وكل ما عدا ذلك عرضة للزوال.

١٥٦ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف:٣٨]:

هو الله ربي في الفقر والغنى، والمرض والصحة، والمنع والعطاء، والرب يربي عبده بما يعلم أنه الأصلح له، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

١٥٧ ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]:

روى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئًا يُعجِبه أو دخل حائطًا (بستانًا) من حيطانه، قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فمن أعجبه شيء من حاله أو ولده أو ماله، فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهو مأخوذ من هذه الآية.

١٥٨ قال الإمام مالك: «ينبغي لكلِّ مَنْ دخل منزله أن يقول كما قال الله تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾».

١٥٩ ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]:

معناها: الحضُّ على الاعتراف بأن جنته وما فيها تحت مشيئة الله، إن شاء أبقاها، أو شاء أفناها، وهذا حال المؤمن مع كل نِعَم الله عليه.

١٦٠ ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]:

لا قوة إلا من الله وحده، لكنه يعطي القوة للظالم ابتلاء واستدراجا، فيستعملها في العدوان، ويعطيها المؤمن إنعاما وإكراما، فيسخِّرها في الخير

والعمـران.

١٦١ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠]:

الله قـادر في لحظـة واحـدة علـى أن يقلـب حالـك، فتصبـح جنتـك أرضـا «زلقـا» أي جـرداء ملسـاء لا تُخرِج نبـات، ولا تثبـت عليهـا قـدم، أي تصـير عديمـة النفـع مـن كل شيء حـتى مـن المـشي عليهـا.

١٦٢ فيـه **جـواز الدعـاء بتلـف أمـوال الظالمـين** إن كانـت سـببا في علوهـم وطغيانهـم.

١٦٣ مؤمـن فقـير لا مـال لـه ولا نفـر، ولا جنـة عنـده ولا ثمـر، لكنـه يتكلـم بمنتهـى القـوة؛ لأنـه معـتز بدينـه وعقيدتـه.

١٦٤ ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ [الكهف:٤١]:

لـو غـار المـاء في باطـن الأرض، وأراد الله حرمانـك منـه، فلـن تسـتطيع الوصـول إليـه ولـو طلبتـه بـكل الآلات والمعـدات، وإن كان الجسـد يسـتطيع تحمـل الحرمـان مـن الطعـام حـتى سـتة أسـابيع، فإنـه لا يسـتطيع تحمـل الحرمـان مـن المـاء إلا مـن ثلاثـة إلى خمسـة أيـام علـى الأكـثر قبـل أن يمـوت.

١٦٥ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف:٤٢]:

الخسران الحقيقي هو قرع باب الندم حين لا ينفع الندم، وبعد فوات الأوان.

١٦٦ أحـاط بـه هـذا العقـاب لا لمجـرد كفـره، فـإن الله قـد يمتـع الكافـر ويملـي لـه، وإنمـا أحـاط بـه العقـاب عقوبـة لـه علـى طغيانـه، ولأنـه جعـل ثروتـه وسـيلة لاحتقـار الفقـراء، وفي الآيـة تقريـع للمشـركين الذيـن اتخـذوا أموالهـم سـببا للترفـع عـن مجالـس النـبي ﷺ؛ لأنهـا جمعـت فقـراء الصحابـة، وطلبـوا مـن النـبي ﷺ طردهـم عـن مجلسـه.

١٦٧ من تعريفات الغرور: السير بخطى ثابتة نحو الهلاك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾.

١٦٨ ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٢]:

البلاء رحمة!

أحسن شيء مرَّ بهذه الكافر كان هذا البلاء! لأنه كان سبب إيمانه، فكان البلاء خيرا محضا، وصارت المحنة في حقه عين المنحة!

١٦٩ ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف:٤٣]:

من سَخِط مَلِك الملوك عليه، لم ينفعه نظر الجنود والرعية إليه.

١٧٠ ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الكهف:٤٤]:

الوَلَايَةُ بفتح الواو: التولي والنصرة، قرأ بها ابن كثير ونافع وعاصم.

- أي أن الكافرين يتولَّون الله يوم القيامة ويؤمنون به، ويتبرَّؤون مما كانوا يعبدون من دونه، قاله ابن قتيبة.
- أو أن الله يتولَّى أمرَ الخلائق يوم القيامة، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين.
- أو المعنى ألا ولي في الدنيا والآخرة إلا الله، فكل **من اعتز بغير الله ذلَّ وضلَّ.**

١٧١ وفي قراءةٍ لحمزة: الوِلاية، بكسر الواو: السلطان والملك، أي لا سلطان ولا ملك يوم القيامة إلا لله رب العالمين.

؟؟؟ ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ [الكهف:٤٤]:

ما أفضل ثواب لك إذا كنتَ صالحا؟!

الجواب: أن يكون الله وليَّك.

١٧٢ من ﴿هُوَ﴾؟!

هو الله، فسؤال: ما ثوابك؟ جوابه: ثوابك هو الله، فما ظنك بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين؟!

١٧٣ ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ [الكهف:٤٤]:

﴿خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ لأن غير الله يثيب على العمل بمثله، ولكن الله يثيب عليه

بعشـرة أمثالـه إلى سـبعمائة ضعـف إلى أضعـاف كثـيرة، ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ جـلَّ جلالـه، لأن **مـن تـولاه الله فـاز في الدنيـا والآخـرة.**



- إن أردت أن تحسِّن عملك، فقصِّر أملك.
- لا تـذم حالـة الفقـر أو الغـنى، وإنمـا الـذم ينبغـي أن يتوجه لـترك الصـبر أو عدم الشـكر.
- مـن أعجبـه شيء مـن حالـه أو ولـده أو مالـه، فليقـل في الحـال: مـا شـاء الله لا قـوة إلا بـالله.
- احمـد الله عـلى نعمـة المـاء العـذب، فلـو شـاء ربـك لغـار في بطـن الأرض، فـلا تصـل إليـه.
- ازهـد في الدنيـا واجتهـد في عمـل للآخـرة، ومـن أحسـن مـا قيـل في الزهـد: ليـس الزهـد في الدنيـا بتحريـم الحـلال ولا إضاعة المـال، ولكـن أن تكـون بمـا في يـد الله أوثـق منـك بمـا في يـدك، وأن تكـون في ثـواب المصيبـة -إذا أُصبْـتَ بهـا- أرغـب منـك فيهـا لـو لـم تصبـك.
- لا تعـتز بغـير الله، ولا تسـتقوِ إلا بـالله، فمـن اعـتز بغـير الله ذلَّ، ومـن اسـتنصر بغـيره خُـذِل، ومـن تـوكل عـلى غـيره خـاب، ومـن أنـس بسـواه اسـتوحش.



المقطع الخامس

دواء فتنة المال





عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ
أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ
حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ

لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ
أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ
حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ
بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا

٥١ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ
فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ٥٢ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ
إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ
ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ
لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ
مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا
أَبَدٗا ٥٧ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ
لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ
مَوۡئِلٗا ٥٨ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا
لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ

١٧٤ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]:

قصة الدنيا من أولها لآخرها استوعبتها آية! ألا **ما أهون الدنيا على الله إلا ما كان منها في مرضاة الله.**

١٧٥ قال الإمام القرطبي: «قالت الحكماء: إنما شبَّه تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على واحد.

ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة، كذلك الدنيا.

ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى.

ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها.

ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعا منبتا، وإذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر».

١٧٦ ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف:٤٦]:

كلمة ﴿زِينَةُ﴾ أي: ليست من ضرورات الحياة، بل مجرد شكل وزخرف؛ فالمؤمن يعيش سعيدا راضيا بما قسم الله له حتى لو كان بلا مال ولا ولد؛ بينما يشقى بعضهم بماله وولده.

١٧٧ ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف:٤٦]:

مِنَ الباقيات الصالحات: ما قاله رسول الله ﷺ، وهذا الحديث من التفسير بالمثال: «خذوا جُنَّتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدِّمات ومعقِّبات ومجنِّبات، وهن الباقيات الصالحات»[1].

(١) صحيح الجامع رقم: ٣٢١٤.

١٧٨ لماذا الباقيات الصالحات خير؟! لأن المال والبنون لن يدخلا القبر معك، ولن يمنعا عنك العذاب، ولن ينفعك إلا الباقيات الصالحات.

١٧٩ ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ﴾ [الكهف:٤٦]:

لم بدأ بالباقيات قبل الصالحات؟!

والجواب: تنبيها على أن كل ما معك في الدنيا سيفنى، وتشجيعا لك على الاهتمام بالأهم والأبقى.

١٨٠ ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ﴾ [الكهف:٤٦]:

معنى هذا أن ما قبلها لم يكُنْ من الباقيات بل زائل بزوال الدنيا، ووصف الباقيات لا يستحقه إلا ما ينفع في الآخرة.

١٨١ ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ﴾ [الكهف:٤٦]:

قال عبد الله بن مسعود عن الصدقة: «من استطاع منكم أن يضع كنزه حيث لا يأكله السوس، ولا يناله السَّرَق فليفعل».

١٨٢ ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ [الكهف:٤٧]:

أشد الزلازل تدميرا في الدنيا لا تستطع اقتلاع الجبال من جذورها، لكن كل شيء يوم القيامة مختلف، فيوم القيامة زلزال الزلازل الذي يفتت أقوى الجمادات، ويجعلها تطير مع السحاب.

١٨٣ أين أنت من عبادة التفكر!

عن أبي عمران الأنصاري قال: «كنت أقود بدابة أم الدرداء (التابعية أم الدرداء الصغرى واسمها: هُجيمة بنت حُيَيّ الأوصابية، وهي غير أم الدرداء الصحابية) في ما بين بيت المقدس ودمشق، فكانت إذا مرَّت بالجبال قالت:

يا أبا سليمان! أَسْمِعْ الجبال ما وعدها الله عز وجل، فأرفع صوتي بهذه الآيات: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧]».

١٨٤ ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧]:

فـلا بنـاءَ فيهـا ولا حجـر ولا شـجر، حـتى لا يتـوارى أحـد، بـل ينكشـف الخلـق جميعـا بـين يـدي الله، للحسـاب والجـزاء، ولا تخفـى عليـه منهـم خافيـة.

١٨٥ ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ [الكهف:٤٨]:

لـم يَغِـبْ عـن الله منهـم أحـد في الدنيـا ولـو اسـتتروا، لكنهـم يـوم القيامـة أشـد انكشـافا وافتضاحـا في يـوم العـرض الأكـبر!

١٨٦ ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ [الكهف:٤٨]:

مـا أشـبه تلـك الحـال بحـال الجنـاة عُرِضـوا علـى السـلطان، فلـم يسـتطع أحـد منهـم التخفـي، ولـم يعـد لـه مفـرٌّ، وهـم في الحقيقـة صفـوف، لكنـه عـبَّر بالواحـد عـن الجميـع كقولـه: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾، لكنهـا صفـوف لا يُخِفـي فيهـا صَـفٌّ الصـفَّ الـذي يليـه، فالجميـع منفضـح ومكشـوف، كالصـف الـذي تسـهل الإحاطـة بجميـع الواقفـين فيـه.

١٨٧ ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ [الكهف:٤٨]:

قـال السـعدي: «أي: بـلا مـال، ولا أهـل، ولا عشـيرة؛ مـا معهـم إلا الأعمـال الـتي عملوهـا، والمكاسـب في الخـير والشـر الـتي كسـبوها».

١٨٨ ﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ﴾ [الكهف:٤٩]:

لـم يخافـوا في الدنيـا، فخافـوا في الآخـرة، **ومـن خـاف اليـوم تمتـع بالأمـن غـدا**، لـذا قـال تعـالى عـن أهـل الجنـة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الطـور: ٢٦-٢٧].

١٨٩ قـال ابـن القيـم في منزلـة الإشـفاق: «القلـب في سـيره إلى الله عـز وجـل بمنزلـة الطائـر، فالمحبـة رأسـه، والخـوف والرجـاء جناحـاه، فمـتى سـلم الـرأس والجناحـان فالطائـر جيـد الطـيران، ومـتى قطـع الـرأس مـات الطائـر، ومـتى فقـد الجناحـان فهـو عرضـة لـكل صائـد وكاسـر، ولكـن السـلف اسـتحبوا أن يقـوى في الصحـة جنـاح الخـوف علـى جنـاح الرجـاء، وعنـد الخـروج مـن الدنيـا يقـوى جنـاح الرجـاء علـى جنـاح الخـوف».

١٩٠ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]:

ويلنا من هذا الويل! قال التابعيُّ عون بن عبد الله: «ضجَّ والله القوم من الصِّغار قبل الكبار!».

١٩١ بدأ بالصغيرة قبل الكبيرة لأن **أكثر الناس يستهينون بالصغائر، فلا يتوبون منها بعكس الكبائر.**

١٩٢ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]:

أشار الإمام البقاعي أن لام الجر رُسِمت مفصولة (في الرسم العثماني: مالِ)، إشارة إلى أنهم لشدة الكرب والخوف، لدرجة أنهم يقفون على بعض الكلام، فلا يسترسلون بالنطق به.

١٩٣ ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]:

من أجمل مواعظ أبي الدرداء رضي الله عنه: «البِرُّ لا يبلى، والإثم لا يُنسَى، والديَّان لا ينام، فكن كما شئت، كما تدين تدان».

١٩٤ إمكانية استرجاع الماضي! تقول النظرية النسبية: إذا استطعنا أن نسير بسرعة تساوي سرعة الضوء، سوف يتوقف الزمن عند هذه النقطة، وإذا تجاوز هذه السرعة سوف يعود الزمن لنرى الماضي حقيقة واقعة أمامنا، وهذا إثبات علمي على إمكانية استرجاع الماضي!

١٩٥ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]:

إبليس من الجن لا من الملائكة! قال أبو حيان الأندلسي: «جعل كونه من الجن سببا في فسقه، يعني إنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأن الملائكة معصومون ألبتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم».

١٩٦ قال الحسن البصري: «ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه

لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر».

١٩٧ **إياك والكِبْر!** قال سفيان بن عيينة: «من كانت معصيته في شهوة فارجُ له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيًا فاستغفر، فغُفِر له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاخْشَ عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا، فلُعِن».

١٩٨ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠]:

قال ابن رجب: «أنت المختار من المخلوقات، ولك أُعِدَّت الجنة إن اتقيت، فهي إقطاع المتقين، والدنيا إقطاع إبليس، فكيف رضيت لنفسك بالإعراض عن إقطاعك، ومزاحمة إبليس على إقطاعه؟! وأن تكون غدا معه في النار من جملة أتباعه، إنما طردناه من السماء لأجلك، حيث تكبَّر عن السجود لأبيك، وطلبنا قربك لتكون من خاصتنا وحزبنا، فعاديتَنا وواليت عدونا!؟».

١٩٩ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١]:

فن إقناع المخالف! تخاطب هذه الآية العقل، وتتلطف بكل وسيلة في إقناع الخلق، وذلك بعدم استحقاق إبليس وذريته أن يكونوا أولياء، ففضلا عن فسقهم عن أمر ربهم، فالله ما أشهدهم خلق السموات والأرض؛ ولا أشهد بعضَهم خلق بعض، ولا استعان بهم حين خلق الخلق، فكيف اتخذتموهم شركاء من دون الله؟!

٢٠٠ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف:٥٢]:

والموبق هو المهلك، أي أن الله جعل بين المشركين ومن اتخذوهم شركاء تواصلا في الدنيا كان سبب هلاكهم في الآخرة، وذكر الإمام الرازي أن بعض المشركين اتخذوا من عيسى عليه السلام والملائكة آلهة، فدعوهم يوم القيامة فلم يستجيبوا لهم، ثم حيل بينهم وبين عيسى والملائكة، وأُدخِل عيسى الجنة، وصارت الملائكة إلى حيث أراد الله من دار الكرامة، ثم حصل بين أولئك الكفار وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا الموبق، وهو وادٍ في جهنم.

٢٠١ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾

[الكهف:٥٣]:

رؤية العذاب تبعث في القلب الخوف منه قبل وصوله، فعندها لا يُسمَع لهم عذر، ولا تنفع لهم حيلة، ولا تُقبَل فيهم شفاعة، ولا يؤخذ منهم فداء، وهذا كله يضاعِف أثر العذب عليهم بعد نزوله.

٢٠٢ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣]:

تُعرَض عليهم النار ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، فيكون في ذلك عذاب نفسي معجَّل بالهم والرعب، قبل العذاب الحسي في النار. قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١).

٢٠٣ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]:

أوضح الله لنا في كتابه كل ما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وذلك بذكر القصص والأمثال والأحوال، لكن أصحاب الضلال يجادلون فيه، **والجدال في الحق الواضح يطمس الحقائق، ويُخفي نور الحق** وسط الآراء المتضاربة والأهواء المتنازعة.

٢٠٤ قال ابن مسعود: «من أراد العلم فليتبوأ القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».

٢٠٥ **ما من فتنة ولا محنة ولا بلاء يمر بك، إلا وفي القرآن ملاذ منه يحميك،** ونور يهديك، وطوق نجاة ينتشلك من أشد لحظات الضيق، فلم هجرانك له وتجافيك؟!

٢٠٦ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]:

لا يجوز التعلل بالقدَر لتبرير ذنب أو القعود عن طاعة، وفي الصحيح أن النبي ﷺ طرق عليا وفاطمة ليلا فقال: ألا تصليان؟! فقال علي: يا رسول الله.. إنما

(١) صحيح الجامع رقم: ٨٠٠١

أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾.

٢٠٧ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]:

قال ابن عمر: «ولن يصيب رجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو يعلم أنه صادق، ويترك الكذب في المزاح».

٢٠٨ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]:

في النفس رغبة دفينة جامحة في الجدال والخصام، فقاوِمها بهذا الحديث النبوي: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحِقَا »[1].

٢٠٩ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]:

قال مهدي بن ميمون: سمعت محمدًا -يعني ابن سيرين- وماراه رجل في شيء -أي جادله- فقال محمد: «إني أعلم ما تريد؛ وأنا أعلم بالمراء منك؛ ولكني لا أماريك».

٢١٠ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف:٥٥]:

ما منع الناس من الإيمان ضعف البيان، إنما منعهم العناد، ولو ظلوا على عدم الإيمان لجاءهم العذاب حتما بإحدى صورتين: عذاب الأمم السابقة بعذاب الاستئصال أوعذاب الآخرة.

٢١١ ما هي سُنَّة الأولين؟

الجواب: هي أخذهم بالعذاب العام، لكن لم يأخذ الله الأمة بعذاب الاستئصال؛ لأن النبي ﷺ دعا ربه ألا يهلك أمّته بسِنَة عامة، فأجاب الله دعاءه.

٢١٢ ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف:٥٥]:

(١) صحيح الجامع رقم: ١٤٦٤

العذاب قُبُلا هو الذي يرونه عيانا ومواجهة أو قِبَلا أي ألوانا متنوعة، وهذا تهديد وإنذار وتحذير وحث على المبادرة بالإيمان قبل فوات الأوان.

٢١٣ لا تتعجب من إعراض الخلق! فبعض الناس لن يؤمنوا ولن يستغفروا إلا إذا نزل بهم عذاب دنيوي مهلك، أو في مواجهة عذاب الآخرة وعلى عتبات النار.

٢١٤ أكثر المعرضين عن الله لا يُقبِلون عليه إلا بعد نزول البلاء، وهؤلاء قال فيهم ابن عطاء الله السكندري: «من لم يرحل إليه بسلاسل الإنعام، سيق إليه بسلاسل الامتحان».

٢١٥ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف:٥٦]:

إلى كل داعية: **ابدأ بالبشارة قبل النذارة، والترغيب قبل الترهيب.**

٢١٦ ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف:٥٦]:

ومن جدال الكافرين بالباطل أنهم قالوا: يا محمد.. أخبرنا عن الشاة إذا ماتت، من قتلها؟ قال: الله. قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام (أي الميتة)؟

ومن جدالهم: أنهم قالوا لما أنزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾: فالملائكة، وعزير، وعيسى، يُعبدون من دون الله، فنزلت: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ أي الآلهة التي يعبدون.

وغير ذلك كثير.

٢١٧ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧]:

كلما زاد ظلم العبد زاد نسيانه لذنبه وبعده عن ربه.

٢١٨ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف:٥٧]:

الجزاء من جنس العمل، أعرضوا عن الله بملء إرادتهم، فأعرض الله عنهم، ونسوا ما قدَّمتْ أيديهم من ذنوب، فنسيهم علام الغيوب، وجعل على قلوبهم

أغلفة تحول بينهم وبين الإيمان.

؟؟؟ ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [الكهف:٥٨]:

تأخير العذاب من علامات رحمة لله، وهو إما إمهال للعبد كي يتوب، أو إقامة للحجة عليه إن أصرَّ على الذنوب.

٢١٩ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف:٥٩]:

مسألة وقت!!

٢٢٠ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف:٥٩]:

في مسند أحمد والترمذي: «من فرَّق بين والدة وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[1].

٢٢١ ﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف:٥٩]:

أصدر القرار، وأخفى موعد التنفيذ!!



- أضِف إلى قائمة أورادك اليومية: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ومن زاد منها زاد الله له.

- حاسب نفسك اليوم قبل أن تحاسب، وزن عملك قبل أن يوزن عليك أمام عينيك غدا، وتجهَّز للعرض الأكبر: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾.

- لا تستصغر ذنبا، ولا تستهن بالصغائر، فاستصغار

(١) صحيح الجامع رقم: ٦٤١٢

الصغيرة إلى كبيرة، ومعظم النار من مستصغر الشر.

- سل الله سلامة الصدر، واستعذ بالله من الحسد والكبر؛ فإنما أهلَكَ الشيطان داءُ الحسد والكبر.

- استعمِل المنطق في إقناع المخالف، فالله خاطب العقل في كثير من آيات الكتاب.

- عوِّد نفسك عند المرارو بآيات العذاب وذكر النار أن تتعوَّذ بالله منها، فهي سُنَّة النبي ﷺ في قراءة القرآن.

- اقرأ القرآن كل يوم بروح جديدة، كأنك تبحث عن دواء لما تشكو منه، وإجابة لسؤال حيَّرك، وحكمة غائبة لما تراه حولك، وستدرك به حاجتك ويشفي صدرك.

- اترك الجدال ولو كنت مُحِقًّا، وأضمن لك الجنة، في الحديث: «أنا زعيم بِبَيْت في ربض الْجنَّة لمن ترك المراء وإن كان محقا».

- اعمل بهذه الوصية النبوية في كل ما تتكلم به أو تكتبه: «كان إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: بشِّروا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا»[1].

- لا تظلم خاصة لو كنتَ صاحب رعية ومسؤولية، فإن ظلمت فتحلَّل سريعا ممن ظلمت، وسله العفو، ورُدَّ إليه مظلمته، قبل أن يقتص منك غدا.



(١) صحيح الجامع رقم: ٤٦٩١

المقطع السادس

قصة موسى والعبد الصالح

«فتنة العلم»





لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ
بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا
وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ
صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا
٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا
لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ

لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ
لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤
۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ
أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا
ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا
وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ
رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ

وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن
يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ
وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا
٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ
أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا
لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ
وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن

٢٢٢ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]:

قوة تصميم وإرادة وتعهد على الاستمرار حتى يبلغ مجمع البحرين، طلبا للعلم، أو يمضي دهرا طويلا حتى يجد هذا العالِم.

٢٢٣ سبب القصة:

قال رسول الله ﷺ: «قام موسى عليه السلام خطيبا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك»[1].

٢٢٤ قال الرازي: «وهذا إخبار من موسى بأنه وطّن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم، وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحقَّ له ذلك».

٢٢٥ اربط تلامذتك دائما بأهداف عليا وغايات عظيمة لتُحفِّز هممهم وتستثير عزمهم.

٢٢٦ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١]:

قالوا أن النبوة ليس من شروطها العصمة من النسيان البشري العادي، وهو نسيان لا يتعلق بالرسالة والوحي.

٢٢٧ ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١]:

لما بلغا هذا المكان ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي نسيا خبر حوتهما، ونسيا تفقد أمره، وكان الله قد أوحى إلى موسى أن فقدان الحوت هو علامة المكان الذي يلتقي فيه بالرجل الصالح، فأحيا الله الحوت، وسقط في البحر، واتخذ ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ أي طريقه ﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي في طريق مثل السِّرب أي النفق في الأرض، حيث سار الحوت فيه، وظل أثره واضحا مثل النفق.

(١) صحيح مسلم رقم: ٢٣٨٠

٢٢٨ ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف:٦٢]:

فيه استحباب إطعام الإنسان خادمه من طعامه، وأكلهما سويا، لأن هذا ظاهر قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ بصيغة الجمع، مما يدل على أنهما أكلا جميعا.

٢٢٩ ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢]:

قال القرطبي: «وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء، لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط».

٢٣٠ ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣]:

من أدب النبوة! قال القاسمي: «ونسبة النسيان، ونحوه من الأمور المكروهة، إلى الشيطان، مجازا وتأدبا عن نسبتهما إلى الله تعالى».

٢٣١ ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف:٦٣]:

لماذا قال هنا: ﴿عَجَبًا﴾ بينما قال قبلها: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١]؟

والجواب:

- ﴿عَجَبًا﴾: الواصف هنا هو الفتى يوشع بن نون، فقد رأى السمكة الميتة تدب فيها الحياة وتقفز في البحر، وهو أعجب ما رأى.
- ﴿سَرَبًا﴾: القائل هو الله سبحانه وتعالى.

٢٣٢ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤]:

أي ارتدَّا أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت، فلما وصلا إليه، وجدا العبد الصالح.

٢٣٣ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف:٦٥]:

كان فقد الحوت أمرا مكروها ليوشع بن نون غلام موسى عليه السلام، لكنه كان علامة مكان العبد الصالح، فقد **يكون في ما يكره الإنسان كثيرا مما يحب،**

وهو لا يعلم.

٢٣٤ ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف:٦٥]:

قدَّم الرحمة على العلم، فلولا رحمتنا به ما علِم شيئا، أو المراد أن **كل علم لا تصحبه الرحمة بالخلق فهو عين الجهل.**

٢٣٥ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦]:

هذا أدب الطلب الذي يجب أن يتعلَّمه كلُّ طالب علم.

٢٣٦ لا اكتفاء من العلم حتى لمن كان نبيا! قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «لو كان أحدٌ يكتفي من العلم لاكتفى منه موسى -على نبينا وعليه السلام- لما قال: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾».

٢٣٧ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦]:

إقرارٌ له على نفسه بالجهل ولأستاذه بالعلم.

٢٣٨ شدة تواضع موسى!

وصيغة ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ تُشعِرك بالتواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساويا في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني بعضا من علمك لا علمك كله.

٢٣٩ ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦]:

اعتراف بأن الله هو الذي علَّمه هذا العلم، وطلبٌ منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به، فيعلِّمه مما علَّمه الله.

٢٤٠ ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦]:

لم تكرر ذكر الرشد في سورة الكهف؟!

والجواب: لأنه لا ينقذك من الفتنة إلا الرشد، والفائز الحقيقي هو الذي يسوق الله له الرشد والرشاد، فيكون رشيدا، والأعلى من ذلك: أن يكون مرشدا لغيره.

٢٤١ لا خلاف في أن موسى أفضل من الخضر، وهذا يدل على أن الأفضلية العامة لا تقتضي التفوق في كل جانب، ورحم الله الإمام مالك حين قال: «إن من شيوخي من أطلب منه الدعاء، ولا أقبل روايته».

٢٤٢ ارجع لأهل الاختصاص في اختصاصاتهم، ولا ترهق أهل الفضل بسؤالهم عما لا يعرفون ولا يحسنون، فيسقطون ويُسقطوننا معهم إن هم قالوا بغير علم!

٢٤٣ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧]:

قيلت لنبي من أولي العزم من الرسل!

والدرس هنا:

ستظل بعض حكمة الله في الأحداث غائبة عنك، مهما علا شأنك وقوي إيمانك.

٢٤٤ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٨]:

سبب قلة الصبر هو قلة العلم، **ولو زاد علم العبد بحكمة الرب ولطفه به لصَبَر.**

٢٤٥ قال ابن تيمية: «ولا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر».

٢٤٦ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٨]:

مظهرٌ من مظاهر أدب المعلِّم مع تلميذه، حيث التمس له العُذْر مقدَّما إن اعترض عليه.

٢٤٧ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩]:

تقديم المشيئة تأدُّبٌ مع الخالق سبحانه، واستعانة به على الصبر، أدب يعلِّمنا إياه الأنبياء.

٢٤٨ ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠]:

كلمة ﴿شَيْءٍ﴾ نكرة تدل على أن الخضر اشترط على موسى اشتراط العالم

على الطالب ألا يبدأه بالسؤال، مهما رأى شيئا غريبا غير مفهوم حتى يبدأه العبد الصالح بالحديث عنه، ووافق موسى على الشرط.

٢٤٩ ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف:٧١]:

كم خُرِقت لنا في بحر الحياة سفن، فنجانا الرحمن بها من شر أكبر وضرر أعظم! ولم نعرف ذلك إلا بعد حين.

٢٥٠ ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف:٧١]:

فيه إشارة إلى أن قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، ولا تتحمل الصبر عليه، فموسى مع أنه وعد الرجل الصالح بالصبر على ما يراه منه، إلا أنه لم يصبر على المنكر حين رآه.

٢٥١ ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف:٧١]:

قال القاسمي: «ولم يقل (لتغرقنا) فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول (نفسي نفسي) لا يلوي على مال ولا ولد. وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم».

٢٥٢ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف:٧٣]:

آفة العلم النسيان، والنسيان فيه حكمة عظيمة: ألا يغتر الإنسان بعلمه، ويعترف لربه بضعفه وعجزه.

٢٥٣ ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣]:

ارفع الحرج عن الناس، ولا تحمِّلهم ما لا يطيقون، والتمس لهم الأعذار في كل الأحوال.

٢٥٤ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١]، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤]:

في خرق السفينة استعمل كلمة ﴿إِمْرًا﴾، وهو الأمر العجب، وفي قتل الغلام استعمل شيئا ﴿نُّكْرًا﴾، والذي لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في

العقل أو الدين، لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي هلك.

٢٥٥ ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف:٧٤]:

قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العَجَب»[1].. **الصبر مفتاح باب العلم، ومن أسباب مزيده.**

٢٥٦ ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦]:

يرى القشيري وغيره أن الثلاثة آخر حدِّ القِلَّة، وأوَّل حدِّ الكثرة.

٢٥٧ ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف:٧٦]:

إشارة إلى تواضع موسى عليه السلام، فقد رأى أن الرجل الصالح أعلى منه منْزِلة، وإلا لقال: (فلا أصاحبك) بدلا من قوله: (فلا تصاحبني).

٢٥٨ ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦]:

وهي أصل المثل السائر: **قد أعذر من أنذر.**

٢٥٩ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧]:

اصنع المعروف لمن يستحق ومن لا يستحق، ودع عنك قول القائل:

ومن يصنع المعروف في غير أهله.. مِنَ النَّاسِ فالمعروف لا شَكَّ ضائِع

فما عند الله لا يضيع أبدا.

٢٦٠ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨]:

لا تفارق صاحبك حتى تبين له الأسباب التي حملتك على ذلك، فقد قال الرجل الصالح لموسى: قبل مفارقتي لك، سأخبرك عن السبب.

(١) صحيح الجامع رقم: ٣٥٠١

٢٦١ موافقة الصاحب لصاحبه -في غير معصية الله- من أهم أسباب دوام الصحبة وتقويتها، كما أن كثرة الخلاف وعدم الاتفاق من أهم أسباب الفراق.

٢٦٢ ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩]:

ولم يقل فخرقتها، ليكون ذلك معبرًا عن إرادة ونية مبيَّتة وتصميم، وليس مجرد مصادفة أو فعل عابر.

٢٦٣ ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠]:

قال قتادة: «ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤٌ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب».

٢٦٤ قال ابن كثير في تفسيرها: «أي يحملهما حبه على متابعته في الكفر».

الدرس هنا: حزن أيام خير لهما من خلود الأبد في نار جهنم.

٢٦٥ ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ [الكهف:٨١]:

الفقد قد يفتح بابا أروع من أبواب العطاء!

٢٦٦ ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨١]: **حقِّق صفات الابن الصالح:**

﴿زَكَاةً﴾: **صلاحا وطهارة واستقامة.**

﴿رُحْمًا﴾: **رحمة بوالديه.**

٢٦٧ ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾:

كل ما يجري حولك هو تنفيذٌ لإرادة الله، والواجب عليك أن تتعرف على حكمته في أقداره، ورحمته في أفعاله.

٢٦٨ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢]: أيها الأب.. اعرف قيمة صلاحك!

قال عمر بن عبد العزيز: «ما من مؤمن يموتُ إلاَّ حفظه الله في عقبه وعقبِ عقبه (أولاده وأحفاده)».

٢٦٩ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢]:

قال محمد بن المنكدر: «إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولدَ ولده، ويحفظه في دُويرته وفي دُويراتٍ حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم».

٢٧٠ ﴿وكانَ أبوهُما صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢]:

قال سعيد بن المسيب: «يا بني.. إني لأزيد في صلاتي من أجلك، رجاءَ أن أُحفَظ فيك»، وتلا الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.. اجعل لصلاتك اليوم نيات عديدة!

٢٧١ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢]:

تبلى عظامك، وتذروك الرياح، ولا يزال أثر صلاحك باقيا في دنيا الناس عن طريق ذريتك.. اللهم ارزقنا هذا النسل المبارك.

٢٧٢ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢]:

حين أتكاسل عن الطاعة أتذكر أبنائي ومصائب الدنيا، وأتأمل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، وكيف أن صلاحه كان سبب حفظ كنزهم وتأمين مستقبلهم، فأرحمهم وأجتهد.

٢٧٣ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢]:

قد يؤخِّر الله عنك الخير، لأنك لم تستعد لاستقباله بعد، ولو أتاك سريعا لفقدته سريعا، والدرس هنا: **بعض التأخير فيه خير كثير.**

٢٧٤ ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]:

تعلم فن الانتظار، واستقبل أحداث الحياة بطول التأمل ونظرات الاعتبار.

٢٧٥ منع الله عطاء!

قال شيبان الراعي لسفيان الثوري: «يا سفيان! **عُدَّ منع الله إياك عطاءً منه لك؛** فإنه لم يمنعك بخلًا، إنما منعك لطفًا».

٢٧٦ منع الله ليس دليلًا على بغضه. قال ابن القيم: «فهو سبحانه أعلم بمواقع الفضل، ومَحالِّ التخصيص، ومَحالِّ الحرمان، فبحمده وحكمته أعطى، وبحمده وحكمته حرم، فمن ردَّه المنع إلى الافتقار إليه، والتذلل له، وتملُّقِه، انقلب المنع في حقه عطاءً، فكل ما شغل العبد عن الله فهو مشؤوم عليه، وكل ما ردَّه إليه فهو رحمة به».

٢٧٧ قضاء الله كله خير لو كنتم تعلمون!

قال ابن القيم: «فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرا له.

ساءه ذلك القضاء أو سرَّه، فقضاؤه لعبده المؤمن المنع عطاء، وإن كان في صورة المنع.

ونعمة وإن كانت في صورة محنة.

وبلاؤه عافية، وإن كان في صورة بلية.

ولكن لجهل العبد وظلمه لا يَعُدُّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذَّ به في العاجل، وكان ملائما لطبعه.

ولو رُزِق من المعرفة حظا وافرا لعَدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة.

وتلذَّذَ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية.

وتلذَّذَ بالفقر أكثر من لذته بالغنى.

وكان في حال القلة أعظم شكرا من حال الكثرة».

٢٧٨ هذه الأحداث الثلاثة: خرق السفينة، قتل الغلام، بناء الجدار بلا إذن ومن غير أجرة، استنبط منها العلماء قاعدة مهمة وهي: **إذا تعارض ضرران وجب تحمل الأخف لدفع الأشد**، لذا قدَّم الخضر خرق السفينة على غصبها، وقدَّم قتل الغلام على كفره وطغيانه، وإصلاح الجدار بلا إذن ولا أجرة حتى لا يضيع مال اليتيمين.

المقطع السابع

قصة ذي القرنيـــن «فتنـة السلطة»



وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ٨٣
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ٨٤ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۖ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ٩٠ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ٩١ ثُمَّ
أَتْبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ٩٣ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ

قِطْرًا ٩٦ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ٩٧
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى
حَقًّا ٩٨ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ١٠٠
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا
١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ١٠٨ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ
ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ١٠٩ قُلْ إِنَّمَآ
أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟

المقطع السابع: قصة ذي القرنين أو فتنة السلطة

٢٨٢ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣]:

من ذو القرنين؟!

قال أبو حيان الأندلسي الغرناطي: «ملَك الأرض بأسرها أربعة: مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: بختنصر ونمروذ».

٢٨٣ قال البقاعي: «كانت قصة موسى مع الخضر مشتملة على الرحلات من أجل العلم، وكانت قصة ذي القرنين مشتملة على الرحلات من أجل الجهاد في سبيل الله، ولما كان العلم أساس الجهاد تقدمت قصة موسى والخضر على قصة ذي القرنين».

٢٨٤ ما العلاقة بين قصة ذي القرنين والقصص الثلاث المتقدمة؟!

والجواب: انتصر ذو القرنين على الفتن الثلاثة التي وردت في القصص الثلاثة، ونجا من فتنة القوة وفتنة المال وفتنة العلم.

٢٨٥ كيف النجاة من الفتن الثلاثة؟!

- انتصر ذو القرنين على فتنة السلطة الغاشمة الظالمة التي طاردت أصحاب الكهف، فاستعمل السلطة في الموطن الذي خُلِقت من أجله، فحكم بالعدل والإحسان، وشرع في عمران الأرض بما فيه خير البلاد والعباد.
- وانتصر على فتنة المال الذي فتن صاحب الجنتين، فأعرض عن زينة الدنيا منصرفا إلى ما عند الله، وهو خير وأبقى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾.
- وانتصر على فتنة العلم، فقد أوتي من كل شيء سببًا، ومن ذلك العلوم المتعلقة بسياسة الشعوب والأمم وعمارة الأرض وتخطيط المدن، وكل ما يؤدي لترسيخ حكمه، لكنه لم يغتر بكل هذا، ونسبه إلى رحمة الله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾.

٢٨٦ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: ٨٤]:

التمكين منحة إلهية وعطية ربانية، وقد مكَّن الله لذي القرنين كما مكَّن لبعض أنبيائه ورسله مثل سليمان وداوود، ولم يمكِّن لبعض رسله كعيسى ويحيى وزكريا، وذلك لحكمة بالغة؛ أن الأمر كله بيد الله، لا بيد أحد من الخلق.

٢٨٧ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف: ٨٤]:

أطلِق لعقلك الخيال في صور تمكين هذا الرجل الرباني ذي القرنين، وذلك من خلال المؤكدات العديدة في الآية: (إنَّ) المفيدة للتأكيد، و(نا): ضمير المتكلم المفيد للتعظيم، و(له): المفيدة للتخصيص، والعموم المطلق المستفاد من قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

٢٨٨ هذه بعض صور التمكين لذي القرنين:

- مكَّن له في العلوم والمعرفة بسنن الأمم والشعوب صعودًا وهبوطًا.
- مكَّن له في سياسة الناس أفرادًا وجماعات إدارة وتربية وانتظامًا.
- مكَّن له في أسباب القوة المادية من الأسلحة والجيوش.
- مكَّن له في أسباب العمران وتخطيط المدن وزراعة الأرض.

٢٨٩ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥]:

الأخذ بالأسباب واجب لمن أراد الوصول. جاء في تفسير الرازي: «السبب في أصل اللغة عبارة عن الحبل، ثم استعير لكل ما يتوصل بها إلى تحصيل ذلك الشيء، وهو يتناول العلم والقدرة والآلة».

٢٩٠ ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]:

معناه أن الله لما أعطاه من كل شيء سببه، فإذا أراد العبد شيئا اتبع سببا يوصله إليه، وهذا يعني أن ذا القرنين كان يخطِّط تخطيطا جيدا، وله مهام محددة ينطلق لتحقيقها بوسائل محددة.

٢٩١ تكــرَّر نفـــس القــول ثــلاث مـــرات: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهـف:٨٥]، ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهـف:٨٩]، ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهـف:٩٢]، ولاحِـظ أن كل عبـارة هـي آيـة كاملـة، لتأكيـد أهميـة الأخـذ بالأسـباب.

٢٩٢ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ [الكهـف:٨٦]:

الظاهـر أن هـؤلاء كانـوا مـن أهـل الفـترة، فألهـم الله ذا القرنـين أن يدعوهـم إلى عبـادة الله وحـده، فإمـا أن تعـذب هـؤلاء الكافريـن بالقتـل أو غـيره، أو تتخـذ فيهـم أمـرا حَسَـنـا، والأمـر الحَسَـن هـو دعوتهـم.

٢٩٣ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ [الكهـف:٨٧–٨٨]:

حـرف الاسـتقبال في قولـه: ﴿فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ يشـير إلى المهلـة الـتي سـيمنحهم إياهـا ليجيبـوه إلى الإيمـان، فمـن أصَـرَّ منهـم علـى الكفـر عذَّبـه، فـلا عـذاب إلا بعـد دعـوة وبـلاغ، ومـن آمـن فلـه المثوبـة الحسـنى واللسـان الجميـل.

٢٩٤ يعلِّـق صاحـب الظـلال قائـلا: «هـذا هـو دسـتور الحاكـم الصالـح، فالمؤمـن الصالـح ينبغـي أن يجـد الكرامـة والتيسـير والجـزاء الحـق عنـد الحاكـم، والمعتـدي الظالـم يجـب أن يلقـى العـذاب والإيـذاء.

وحـين يجـد المحسـن في الجماعـة جـزاء إحسـانه حسـنـا، ومكانـا كريمـا وعونـا وتيسـيرا، ويجـد المعتـدي جـزاء إفسـاده عقوبـة وإهانـة وجفـوة.. عندئـذ يجـد النـاس مـا يحفّزهـم إلى الصـلاح والإنتـاج.

أمـا حـين يضطـرب مـيزان الحكـم، فـإذا المعتـدون المفسـدون مقربـون إلى الحاكـم مقدمـون في الدولـة، وإذا العاملـون الصالحـون منبـوذون أو محاربـون، فعندئـذ تتحـول السـلطة في يـد الحاكـم سـوط عـذاب وأداة إفسـاد.. يصـير نظـام الجماعـة إلى الفوضـى والفسـاد».

٢٩٥ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٨٧]:

الربط بين العذاب الدنيوي البشري وعذاب الآخرة الأشد، يشكّل عبرة لمن كان له قلب، وهو أسلوب يخاطب كل مؤمن بأن **الدنيا ليست نهاية المطاف، والمحكمة ستنعقد للظالمين مرة أخرى في الآخرة.**

٢٩٦ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٧-٨٨]:

وهنا يظهر أهمية مبدأ الثواب والعقاب، **وما أجمل أنْ نرصُدَ المكافآت التشجيعية والجوائز، ونقيم حفلات التكريم للمتميزين،** فذلك مما يشعل روح التنافس بين المجتهدين.

٢٩٧ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٩]:

لابد من المداومة ومواصلة الرحلة لتحقيق الهدف، حيث لا راحة في الدنيا، والناس محتاجون لهداية هذا الدين وتعاليم رب العالمين.

٢٩٨ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف:٩٠]:

هذه رحلة ذي القرنين الثانية: بلغ فيها الموضع الذي تطلع عليه الشمس، فوجدها تطلع على قوم في نهاية المعمورة من جهة الشرق، ليس لهم بناء يُكِنُّهم، ولا أشجار تُظِلُّهم، فهم أمة بدائية، عراة في العراء أو في سراديب الأرض.

٢٩٩ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٩١]:

كناية عن كون المعلوم عظيما بحيث لا يحيط به علما إلا علام الغيوب، ويُفهَم منه عظيم العَدَد والعُدَد التي أعطاها الله لذي القرنين، فقد بلغ الغاية في رفعة الشأن وبسطة الملك مما لم يتح لغيره.

٣٠٠ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٩٢]:

أي سلك طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب، آخذا من مطلع الشمس إلى الشمال.

٣٠١ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ [الكهف:٩٣]:

أي لا يكاد هؤلاء القوم يفهمون ما يقوله الناس لهم، لغرابة لغتهم أو شدة تخلفهم، لكن كيف ذلك، وقد أثبت لهم القول: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ..﴾[الكهف:٩٤]؟!

يبدو أنه احتال وبذل جهدا كبيرا حتى يفهمهم ويُفهِّمهم، فكان مثال المؤمن المصلح الحريص على دعوته، والذي لا يدخر جهدا لعمل الخير.

٣٠٢ ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ [الكهف:٩٤]:

على الحاكم المسلم أن يتواصل مع رعيته، ولا يقيم بينه وبينهم حواجز وسدودا، فإن فعل أحبوه وساندوه في تحقيق مهامه.

٣٠٣ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ [الكهف:٩٥]:

ما بسطه الله لي من النعم والمال خيرٌ من مالكم الذي تعرضون عليَّ، فوفِّروا أموالكم.

٣٠٤ إذا أنعم الله عليك بنعمة، فثق أنها الأصلح لك، فلا تمدن عينيك إلى نعمة غيرك.

٣٠٥ ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥]:

المصلح لا ينوب عن الأمة في الإصلاح، لكن يقودها ويتقدمها.

٣٠٦ ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥]:

تلاحم القائد مع الجنود، ومشاركته لهم من أسباب بث الحماسة في صفوفهم وتقديمهم أفضل ما لديهم.

؟؟؟ ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥]:

لم يكن موقفه أن يدافع عنهم، بل أن يعلِّمهم كيف يدافعون عن أنفسهم، ويورِّثهم أسباب القوة ليستعملوها إن غاب عنهم.

٣٠٧ درس إداري هـام! **النجاح في توظيف الطاقات واستغلال الكفاءات من أهم سمات القائد الناجح.**

٣٠٨ تأصيلٌ للعمل الجماعي، باعتباره وسيلة للنهوض بالامة، وتحقيق الأهداف الكبرى، يد الله مع الجماعة.

٣٠٩ أعطى ذو القرنين دروس حضارية رائعة باقية إلى يوم القيامة، ومنها أنه **إذا صلح الرأس صلح الجسد، وإذا صفا رأس العين صفت السواقي.**

٣١٠ (تجعل بيننا وبينهم سدا) (أجعل بينكم وبينهم ردما):

الردم أكبر من السد وأوثق، فلمروءته وكرمه وعدهم بأكثر مما طلبوه، ووفّى بوعده.

٣١١ ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾:

على الحاكم المسلم أن يعطي أكثر مما يستحقه شعبه، فقد طلب القوم سدا، فبنى لهم ذو القرنين ردما، وهو بناء أعظم من السد، وعمل فيه بنفسه.

٣١٢ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف:٩٦]

زُبَرَ الحديد هي جمع زُبْرَة، وهي القطعة الضَّخمة منه، والقِطر هو النحاس المذاب، ولا شك أن الابتكار التقدمي الصناعي الذي بلغه ذو القرنين مكّنه من صنع سبيكة صُلْبة من الحديد والنحاس، فصبَّها بين الصدفين أي الجبلين، فملأ ما بينهما، فكان لها الفضل بعد الله في حماية الناس من شر يأجوج ومأجوج حتى اليوم.

٣١٣ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف:٩٧]:

هنا تبرز قيمة إتقان العمل، والوصول إلى الجودة المطلوبة بنسبة ١٠٠٪، فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يرتفعوا على ظهر السد أو يرقوا فوقه لملاسته وارتفاعه، وما استطاعوا كذلك أن يُحدثوا فيه نقبا أو خرقا لصلابته.

٣١٤ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف:٩٧]:

أراد يأجوج ومأجوج أن يصعدوا السدَّ صعودا فما ﴿ٱسۡطَٰعُواْ﴾، وأما حين أرادوا أن يُحدِثوا فيه نقبا فما ﴿ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾، ومعالجة النقب أشدُّ صعوبة من محاولة التسلق، ولذا جاءت زيادة المبنى إشارة لزيادة المعنى.

٣١٥ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨]:

نسب ذو القرنين هذا العمل العظيم الذي قام به إلى رحمة الله، فلم يأخذه غرور وعُجْب، بل تبرأ من حوله وقوته، ونسب الفضل كلَّه لله.

٣١٦ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٧]:

نسب هذا العمل الضخم العظيم لربه لا لنفسه، وهذا له معنيان:

- تواضع ذي القرنين عند الإنجاز، وهو من شكر الله على التوفيق، وهذا سمت المؤمن في كل أحواله.

- تنبيه من ساعده في البناء على عدم الاغترار بمناعة السد، أو الإعجاب والغرور بقوتهم، فما هم إلا أسباب لقدَر الله النافذ بهم أو بغيرهم، ولذا إذا أذِن الله بدكِّ هذا السد، اندكَّ دكا.

٣١٧ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف:٩٨]

أي إذا جاء يوم القيامة سوّاه بالأرض، وذلك من قولهم: ناقة دكّاء أي مستوية الظهر لا سنام لها، وجمل أدكّ: منبسط السنام، ووعْد الله بدكِّ هذا الردم، ثم خروج يأجوج ومأجوج على الناس وعدٌ حق لا يتخلف.

٣١٨ هذه رسالة لمن بنى السد ومن بعدهم من الأمم: أن السدَّ مع متانته وصلابته لا يمكن أن يقاوم مشيئة الله، فما هو غير سبب، وبقاؤه بإذن الله، فإذا قامت القيامة، وأراد الله لهذا السد أن ينـدكَّ، اندكَّ.

٣١٩ تأمل قوة إيمان ذي القرنين بوعد الله الذي إذا جاء، فلن تستطيع الأسباب المادية الصمود أمامه، وأن السد الذي بناه ليمنع يأجوج ومأجوج من العدوان، سيزول ويكون دكاء، لأن وعد الله بأن ينتشر فساد يأجوج ومأجوج قبيل

قيـام السـاعـة.

٣٢٠ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨]

ذو القرنـين نمـوذج الحاكـم الصالـح الـذي أدرك مهمتـه في الحيـاة، فقـد مكّن الله لـه في الأرض فملـك أرجاءهـا، دون أن يكـون لـه حـظ في كل هـذا إلا ابتغـاء مرضـاة الله، فلـم يشـغله السـلطان والجـاه والمـال عـن ذكـر الله، والتطلـع ليـوم المعـاد.

٣٢١ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف:٩٨]

كان ابتـداء هـذا الوعـد يـوم قـال النـبي ﷺ: «فُتِـح اليـوم مـن رَدْمِ يأجـوج ومأجـوج مثـل هـذه، وحَلَّـق بِأُصبعيـه: الإِبهـام والَّـتي تليهـا». أي جعـل السـبابة في وسـط الإبهـام.

فهم ينحتون في الجدار، ويوم يأذن الله بالخروج سيكونون قد أتوا عليه.

٣٢٢ أهم دروس قصة ذي القرنين:

للقيـام بـدور الخلافـة في الأرض علـى الوجـه الصحيـح لا بـد للحاكـم أن يأخـذ بطـرفي هـذه المعادلـة:

- الأخذ بأسباب القوة المادية الظاهرة.
- والأخذ بالأسباب الإيمانية مسترشدا بهداية الوحي والإيمان بالغيب.

وفقـد إحـدى الدعامتـين يـؤدي إلى نتـائج مدمـرة، فالحضـارة الغربيـة الـتي اعتمـدت علـى الأسـباب الماديـة فحسـب، كانـت سـبب شـقاء الإنسـانية والآلام والحـروب، والنصرانيـة حـين اعتمـدت علـى الناحيـة الروحيـة فحسـب، تاركـة شـؤون الدنيـا لقيصـر، أصيبـت بالشـلل والعجـز، وحوصـرت في حـدود الكنيسـة، وانفصلـت عـن حيـاة النـاس.

بعكـس حضـارة ذي القرنـين، والحضـارة الإسـلامية الـتي سـادت العالـم، فقـد أخـذت بالدعامتـين، فأنتجـت سـعادة البشـرية.



- الأخـذ بالأسـباب واجـب، والكفـر بتأثيرهـا -إلا بـإذن الله- واجـب.
- الإصرار والتصميـم سر النجـاح وبلـوغ الأهـداف، فكيـف وأنـت مثـاب عـلى كل خطـوة مـن خطواتـك، ولـو فَشِـلتَ.
- إذا كنـت مسـؤولا أو مديـرا، فاسـتعمل أسـلوب الثـواب والعقـاب، والمكافـآت والجـزاءات، فبهـذا تسـتقيم إدارتـك.
- عليـك بالاسـتمرار والإصرار، فهمـا سر النجـاح، والانقطـاع مـع اليـأس سـمة العاجزيـن، والنجـاح هـو الانتقـال بـين فشـلين بنفـس الحماسـة والعزيمـة.
- تمتـع بـبركات العمـل الجماعـي، وادعُ النـاس أن يشـاركوك جهـودك في الخـير، وأن يعينـوك لا مجـرد أن يُعجَبـوا بـك، قـل لهـم: يـدٌ وحدهـا لا تصفِّـق.
- شـارك فريقـك مشـاق الطريـق ومهـام العمـل، وكـن في مقدمـة صفـوف البـذل، قـال عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنه: «كنـا إذا حمـي أو اشـتد البـأس، واحمـرت الحُـدُق اتقينـا برسـول الله ﷺ، فمـا يكـون أحـد أقـرب إلى العـدو منـه، ولقـد رأيتـني يـوم بـدر ونحـن نلـوذ برسـول الله ﷺ، وهـو أقربنـا إلى العـدو».



المقطع الثامن

نهاية العالم





قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي
حَقّٗا ٩٨ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠
ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا
١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ
أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا
١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ
صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ
ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ
أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ
لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠

٣٢٣ ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف:٩٩]:

فيه قولان لأهل العلم:

- القول الأول: أن هذا في الدنيا، وأنهم -أي: يأجوج ومأجوج- إذا خرب السد وجعله الله دكًا صار بعضهم يموج في بعض؛ لكثرتهم وإفسادهم في الأرض.
- القول الثاني: أن هذا يوم القيامة، يعني: يموج الجن والإنس يوم القيامة.

٣٢٤ ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا﴾ [الكهف:١٠٠]:

مما يردعك عن مواقعة معاصيك أن تتذكر يوم العرض على النار، وأن تتصوَّرها تحت قدميك، يمر المؤمن على الصراط فيعبر، ويمر غيره عليه فيهوي في جهنم.

٣٢٥ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف:١٠١]:

قال ابن القيم: «وهذا يتضمن معنيين.

- أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته.
- والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به».

٣٢٦ لا تتشبَّه بالكافرين، وافتح قلبك وأذنك لما يُلقَى عليك من آيات الله المقروءة في كتابه، وآياته المسطورة في أرضه وسماواته، وازدد كل يوم إيمانا.

٣٢٧ ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [الكهف:١٠٢]:

تجهيل لكل من اتخذ المسيح أو الملائكة آلهة تُعبد أو أولياء يلجؤون إليها، بينما هم لا يستنكفون أن يكونوا عبادا لله، وسيرونهم أمام أعينهم يوم القيامة، كيف يذلون جميعا لله ويخضعون.

٣٢٨ ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

قال الإمام القرطبي: «فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل، ويظن أنه محسن، وقد حبط سعيه. والذي يوجب إحباط السعي: إما فساد الاعتقاد، أو المراءاة».

خذ مثلا قتلة ذي النورين عثمان رضي الله عنه، منهم رجل اسمه عمرو بن الحُمْق، فقد وثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات قائلا: «فأما ثلاث منهن فإني طعنتهن إياه الله، وأما ست فإني طعنتهن إياه لما كان في صدري عليه».

٣٢٩ قال ابن عيينة: لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع فدعوا له أبا حازم فجاء، فقال له ابن المنكدر: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧] فأخاف أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب، فجعلا يبكيان جميعًا.

وفي بعض الروايات: فقال له أهله: دعوناك لتخفف عليه فزدته!

٣٣٠ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:١٠٤]:

والسعي فيه تصميم وقوة إرادة وعزيمة، لكن **ما قيمة السعي حين يكون في الضلال؟ وما قيمة القوة إن كانت لخدمة الباطل؟** وما قدر المنعة والمال والجاه والأقارب إذا استُعين بهم على الظلم؟

٣٣١ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]:

في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»[1].

وذلك لأن أوزان القيامة إنما تثقل بالمعاني لا بالصور؛ فإذا كان صاحب جثة

(١) صحيح البخاري رقم: ٤٧٢٩

ضخمة وليس فيه من معاني الإيمان ما يثقِّل الميزان لم يكن له وزن.

٣٣٢ لم يكن ابن مسعود بطلا في كمال الأجسام لكنه كان بطلا بمقياس الإيمان، ولذا لما ضحك الصحابة من دقة ساقيه وهو يصعد شجرة، قال النبي ﷺ: «ما تضحكون؟! لَرِجْل عبدِ الله أَثْقَلُ في الميزان مِنْ أُحُد».

٣٣٣ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف:١٠٦]:

ذكَر أبو هلال العسكري في الفارق بين السخرية والاستهزاء أن السُّخرية يسبقها عمل من أجله يُسخَر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك، وبذا يتضح حقارة الكافرين، فلم يكتفوا بكفرهم، بل أتبعوه باستهزائهم القائم على غير أساس.

٣٣٤ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧]:

في الصحيحين: «إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجَّر أنهار الجنة»(١).

٣٣٥ قال كعب: «ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر».

٣٣٦ النُّزُل: ما يُعِدُّه الإنسان لإكرام ضيفه، فما بالك إنْ كان المعِدّ لِلنُّزُل هو الله تبارك وتعالى، وهو القائل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

٣٣٧ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨]:

طبيعة الإنسان أنه ملول، فماذا يفعل مع الخلود؟! اطمئن.. **الجنة محصَّنة ضد الملل والسأم والرغبة في التغيير أو التطلع إليه.**

٣٣٨ ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨]:

ساكن شقة سكنية يتمنى التحول إلى (فيلا)، فإذا تملَّكها تمنى (قصرا)،

(١) صحيح الجامع رقم: ٢١٢٦

فـإذا تملَّك القصـر تمـنى وتمـنى.. أمـا سـاكنو الجنـة فهـؤلاء ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾.

٣٣٩ ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف:١٠٨]:

رغـم التفـاوت العظيـم في درجـات الجنـة حتى تصـل إلى مائـة درجـة، لكـن لا أحـد يتمـنى غـير منزلتـه. في صحيـح مسـلم: «آخـر مـن يدخـل الجنـة رجـلٌ... »، إلى أن قـال علـى لسـان هـذا الرجـل: «لقـد أعطـاني الله شـيئا مـا أعطـاه أحـدا مـن الأولـين والآخريـن».

٣٤٠ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهـف:١٠٩]:

سـبب النـزول: قـال ابـن عبـاس: قالـت قريـش لليهـود: أعطونـا شـيئا نسـأل عنـه هـذا الرجـل فقالـوا: سـلوه عـن الـروح فسـألوه، فنزلـت: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسـراء: ٨٥]، فقالـوا: لـم نـؤت مـن العلـم نحـن إلا قليـلا، وقـد أوتينـا التـوراة، ومـن يـؤت التـوراة فقـد أوتي خـيرا كثـيرا؟ فنزلـت: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي...﴾ [الكهـف:١٠٩].

٣٤١ المـداد: مـا يُمِـدُّ الـدواة مـن الحـبر، أي لـو كُتِبَـت كلمـات علـم الله وكان البحـر مـدادا لهـا، لنفـد البحـر قبـل نفـاد علـم الله، ولـو جِئنـا بمثلـه مـدادا، وهـذا مثـل يشـير إلى سـعة علـم الله، وقلـة علـوم العالمـين في جنـب علمـه.

٣٤٢ قـال السـعدي: «فلـو جُمِـع علـم الخلائـق مـن الأولـين والآخريـن، أهـل السـماوات وأهـل الأرض، لـكان بالنسـبة إلى علـم العظيـم، أقـل مـن نسـبة عصفـور وقـع علـى حافـة البحـر، فأخـذ بمنقـاره مـن البحـر بالنسـبة للبحـر وعظمتـه».

٣٤٣ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]:

عـن مجاهـد يقـول: قـال رجـل: يـا رسـول الله.. أرأيـت الرجـل يتصـدق بالصدقـة، يلتمـس بهـا وجـه الله، ويحـب أن يُقـال لـه خـيرا، قـال: فنزلـت هـذه الآيـة.

٣٤٤ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]:

تعريـف العمـل الصالـح! قـال يحـيى بـن معـاذ: «العمـل الصالـح مـا يصلـح أن

تلقى به رسول الله ﷺ، ولا تستحي منه في ذلك».

٣٤٥ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]:

قال الفضيل بن عياض: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبَل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، الخالص أن يكون لله، والصَّواب أن يكون على السُّنَّة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

٣٤٦ أريدوا بعملكم وجه الله!

قال أبو يوسف: «يا قوم.. أريدوا بعملكم الله تعالى، فإني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح».

٣٤٧ صلاح الباطن من علامات الإخلاص! قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من كان ظاهره أرجح من باطنه: خفَّ ميزانُه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره: ثقل ميزانه يوم القيامة».

٣٤٨ مسك الختام! كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: **«اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا».**



- انسب كل نجاح دنيوي أو إنجاز إيماني إلى فضل الله وتوفيقه.

- أتقن عملك، فالإحسان فريضة شرعية، والتحسين المستمر مطلوب، وهذا يشمل الأعمال الدنيوية المهنية والأعمال الأخروية الإيمانية.

◄ ليكن لك حظ ثابت من عبادة التفكر، ومن ذلك التفكر في اليوم الآخر ومراحله، فهذا خير ما يرقِّق القلب، ويقوم ما اعوجَّ من مسيرة العبد.

شتم رجل عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: لولا القيامة لأجبتك.

◄ احذر تلبيس إبليس وتزيينه للفعل الخسيس، وأن تكون ممن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا، فأعظم العقوبة ألا يشعر العبد بالعقوبة.

◄ اسأل نفسك دائما: كم تزن عند الله؟ وما يوزن هو الإيمان والعمل الصالح؟! فثقِّل نفسك لأنك ستوزن غدا. في الحديث: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]».

◄ كن طموحا في دعائك، وسل الله على قدر كرمه لا على قدر عملك، لقول النبي ﷺ: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس»[١].

◄ إذا أصابك الملل مما حولك من أشياء، وممن حولك من بشر، فتطلع روحك إلى دار لا ملل فيها ولا سأم، وسل الله الجنة.

◄ راجع نيتك باستمرار، وتفقد إخلاصك وإرادتك وجه الله، واحرِص على أعمال السر، وحصِّن قلبك ضد محبة المدح، فهذه مفردات الصيانة الإيمانية التي تحفظ عليك الإخلاص.



(١) صحيح البخاري رقم: ٧٤٢٣

الفهرس

